روايات
عصرية للجيب



٢٨

ملف المستقبل

نبيل فاروق

النهر المقدس


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ اختفاء طائرة ..

تطايرت رمال صحراء (مصر) ، الغربية ، حينما مرقت فوقها طائرة ذرِّيَّة من طراز (صقر ٦٠٠) ، على ارتفاع مائتى متر ، وانبعثت فى المنطقة فرقعة عجيبة ، تؤكد اختراق الطائرة لحاجز الصوت ، على حين لم يشعر قائدها الشاب بشىء من هذا ، وهو يراقب المنطقة بعينين خبيرتين ، تنافسان طراز طائرته ..

كان واضحًا من هدوئه وبساطة حركاته ، أنه يؤدى عملًا روتينيًّا ، سبق له أن مارسه عشرات المرات .. خاصة حينما التقط بطرف سبَّابته هوائيًّا رفيعًا ، وقال فى جهاز الاتصال المثبَّت بخوذته :

ـ كل شىء على ما يرام .. عَبَرْتُ الآن منطقة بحر الرمال الأعظم ، بزاوية خمس وأربعين درجة ، ومرَرْت فوق (عين خليفة) ، و (بئر أبو منقار) ، ثم (القصر)

و (موط) ، والواحات الداخلة ، ويتم تغيير الاتجاه بزيادة خمس وأربعين درجة أخرى .

مالت الطائرة بالفعل نحو الشرق ، واتخذت طريقها فى سلاسة ، تؤكد مهارة قائدها ، فى خط مستقيم نحو ساحل البحر الأحمر ، على حين قال قائدها :

ــ مازال كل شىء على مايرام .. عَبرت (صقر ٦٠٠)، واحة (المحاريق) و (بولاق) و (الواحات الخارجة) ..

وعاد يطلق من بين شفتيه المضمومتين ، صفيرًا متصلًا منغومًا يماثل لحنًا مألوفًا ، لم يلبث أن تآلف معه ، فأخذ يهزّ رأسه متوافقًا مع الإيقاع ، وهو يلمح من بعيد ذلك المنحنى المشهور ، فى مجرى نهر النيل الأعظم ، بين مدن (نجع حمادى) و (قنا) و (الأقصر) ، فتوقف عن الصفير ، وأعاد الاتصال مع قيادته قائلًا فى هدوء :

ــ (صقر ٦٠٠) تقترب الآن من منحنى (قنا) ، ومازال كل شىء على ما يرا ....

وفجأة .. بتر الطيّار الشاب عبارته ، وصاح فى صوت ينمُّ عن دهشة بالغة :

ــ يا إلهى !! ما هذا ؟.. أهى دعابة سخيفة ؟

كان لعبارة الطيّار الشاب فعل القنبلة فى مركز المتابعة الأرضى ، ويكفى لكى تتصوَّر ما حدث أن نقول ، إن تلك الرحلات تتكرَّر خمس مرات يوميًا ، منذ عشرين عامًا على الأقل ، دون أن تحدث مفاجأة واحدة ، حتى أن الأمر تحوَّل إلى طيران روتينى ، يسند إلى صغار الطيارين ؛ لهذا انطلقت عبارة الطيّار الشاب ، لتوقظ بما تحويه من دهشة ، انتباهًا ظلَّ فى سباته عشرين عامًا ...

صاح ضابط المراقبة ، وقد تولّاه حماس عجيب ، يختلط بانفعال معقَّد :

ــ ماذا تُرى يا (صقر ٦٠٠) ؟.. أجب .. ماذا يحدث عندك ؟

مرَّت فترة قصيرة من الصمت ، خرج بعدها صوت الطيّار الشاب يقول ، دون أن تزايل نبراته الدهشة :

— إنه شىء عجيب يحتاج إلى ....

ثم عاد إلى صمته فجأة ، وكأنه لا يستطيع وصف ما وقعت عليه عيناه ، وصاح أحد رجال مركز المراقبة ، وهو يشير إلى شاشة الرّادار :



— إنه يدور حول المنطقة ، ولقد هبط إلى ارتفاع خمسة وعشرين مترًا فقط .. إنه مجنون .

وقبل أن يعلّق أحد الحاضرين ، عاد صوت الطيّار الشاب يجلجل فى دهشة :

— مستحيل !! كيف فعلوا ذلك ؟.. هذا أعجب شىء رأيته فى حياتى .. سأقترب محاولًا كشف ما يحدث .

صاح ضابط المراقبة ، وقد تولّاه ذُعر خفىّ :

— لا .. لاتحاول يا (صقر ٦٠٠) .. عُد إلى القاعدة فى الحال .

وكأنما تجاهل الطيار الشاب ما سمعه تمامًا ، إذ قال فى اهتمام عجيب :

— هأنذا أراه الآن فى وضوح ، على ارتفاع تسعة عشر مترًا .

صرخ ضابط المراقبة ، فى خوف وقلق :

— هذا الارتفاع شديد الخطورة يا (صقر ٦٠٠) .. اصعد إلى ثلاثين مترًا على الأقل .. هل تسمعنى ؟.. كُفّ عن مطاردة هذا الشىء الغامض .

استمر الطيّار الشاب ، وكأنه لم يسمع شيئًا :

— هذا عجيب !! إنه ليس من عالمنا هذا .. إنهم متقدّمون للغاية .. هذا الـ....

وفجأة .. تحوّلت عبارة الطيار إلى صيحة رعب عالية ، قبل أن يستطرد فى فزع :

— لا .. لا .. هذا مستحيل !! إن هذا الشىء يجذب الطائرة .. لقد توقفت محركاتى تمامًا !! ربَّاه !! إنه ....

وبغتة انقطع صوت الطيار الشاب تمامًا ، وخيَّم على مركز المراقبة صمت عجيب ، استمر فترة طويلة ، قبل أن يغمغم ضابط الرَّادار فى ذهول :

— لقد .. لقد اختفى تمامًا .. لم يعد له أثر فوق شاشة الرَّادار !!

* * *



٢ — مهمة غامضة ..

أغلق (نور) جهاز الاستعادة الصوتية المجسَّمة ، وعقد أصابع كفَّيه أمام وجهه وهو يواجه أفراد فريقه ، قائلًا فى هدوء :

— والآن يا رفاق .. هذا هو الاتصال الذى تمَّ بين الطيار ومركز المراقبة ، قبيل اختفاء (صقر ٦٠٠) تمامًا .. هل لديكم تعليق على ما سمعتموه ؟

ساد الصمت طويلًا ، وتبادل أفراد الفريق نظرات تكسوها الحَيْرة ، قبل أن يتنحنح (رمزى) ، ويعتدل فى مقعده قائلًا :

— كل ما أستطيع قوله ، هو أن قائد الـ(صقر ٦٠٠) ، بدأ حديثه بنوع من الدهشة البالغة ، يدل على أن ما رآه يُعَدّ غير مألوف على الإطلاق فى عصرنا هذا ، ولكنه ليس مفزعًا ، بدليل أنه تصوَّر الأمر مجرَّد دُعابة سخيفة ، وبرغم

ذلك عجز عن وصف ما رآه فترة ، حتى أنه اضطر للهبوط من ارتفاع مائتى متر إلى خمسة وعشرين فقط .. وهنا تصاعدت حدّة دهشته ، وتملّكه فضول شديد ، فحاول الاقتراب ليستوضح الرؤية ، مما اضطره لمعاودة الهبوط حتى ارتفاع تسعة عشر مترًا ، معرّضًا طائرته لخطر بالغ .. وهنا رأى ذلك الشىء الذى أثار دهشته ، فوصفه بأنه ليس من عالمنا ، وقال إنهم ــ ولست أدرى من يقصد بالضبط ــ متقدّمون للغاية ، وفجأة تحوّلت دهشته إلى رعب بالغ وهو يصرخ : إنهم يجذبونه و ....

أنهى (رمزى) حديثه ، بأن فرقع بإصبعيه فى الهواء موضّحًا ما يقصده ، فأسرعت (سلوى) تقول فى اهتمام :

ــ الذى يثير اهتمامى يا (نور) ، هو اضطرار قائد (صقر ٦٠٠) إلى الهبوط ، برغم أنه من المعروف عن رجال الطيران فى قرننا الحادى والعشرين هذا ، أنهم مدرّبون على تمييز ما يرونه مهما بلغ الارتفاع ، ومهما بلغت السرعة .. كما أن (صقر ٦٠٠) تحوى جهاز تكبير ، يتيح

لقائدها الرؤية المجسّمة المقرّبة ، بالإضافة إلى جهاز خاص للرؤية من خلال الظّلمة والضّباب ، وكل المعتمات المعروفة .

تمتم (نور) فى شرود ، وكأنه لم يسمع شيئًا :

ــ ولكن ماذا يقصد بأنهم متقدّمون للغاية ؟

قال (محمود) ، وهو يعدّل من وضع منظاره الطّبّى :

ــ ربما يعنى أنهم من خارج عالمنا هذا أيها القائد .. ربما يعنى غزاة من كوكب آخر ، أو ....

صمت (محمود) لحظة ، وكأنه يبحث عن تعبير مناسب ، على حين أسرع (نور) يقول :

ــ إن هذا يعيد إلى ذهنى ، المشاهدات الأولى للأطباق الطائرة ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين ، وبخاصة حادث ذلك الطيّار الأسترالى ، الذى اختفى بعد محادثة مماثلة ، ولم يعثر عليه منذ ذلك الحين .

سرت رعدة خفيفة فى جسد (سلوى) ، حينما طرق زوجها (نور) هذا الموضوع ، واتجه تفكيرها على الرغم

منها إلى ابنتها (نشوى) ، وشعرت بخوف خفىّ ، لم تلبث أن نفضته وهى تستمع إلى (محمود) ، الذى قال :

ــ هذا صحيح أيها القائد .. حتى عملية توقُّف محرِّكات الطائرة ، وانقطاع الاتصال بين الطيَّار ومركز المراقبة ، تذكُرنى بحوادث السيطرة الكهرومغناطيسية ، التى اقترنت دائمًا بظهور الأطباق الطائرة فى الماضى .

بدا وكأن عبارة (محمود) ، قد جذبت كل حواس (نور) على نحو عجيب ، إذ يمَّم انتباهه شطْر (محمود) ، وهو يسأله فى تركيز شديد :

ــ هل لك أن تفسِّر لى ذلك يا (محمود) ؟

تنحنح (محمود) ، وقال فى اهتمام عميق :

ــ لقد جرت عدة تجارب أرضية بالفعل فى هذا المجال أيها القائد ، فمن المعروف أننا لو تمكَّنَّا من إحاطة جسم ما ، يعتمد فى حركته على الميكنة الإليكترونية الحديثة بمجال كهرومغناطيسى قوى ، فإن ذلك يلغى حركة المحرِّكات ، ويوقفها تمامًا ، وهذا ما يستخدم بالفعل للشوشرة على

الأقمار الصناعية ، ومحطات الإرسال الأرضية ، ولكن عملية إحاطة الجسم بالكامل ، لم يتوصَّل إليها العلم الحديث بعد ..

زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وقال وكأنه يرتِّب النقاط فى عقله :

ــ هذا الشىء ليس من عالمنا ... إنهم متقدِّمون للغاية ...

ثم رفع رأسه نحو (محمود) بغتة ، وقال فى اهتمام :

ــ هل تعلم أننى بدأت أميل إلى تفسيرك يا (محمود) ؟

ساد الصمت لحظة ، بعد عبارة (نور) المفاجئة ، ثم غمغمت (سلوى) فى صوت خافت ، وكأنها تخشى تحطيم الصمت :

ــ ولكن .. هل تم فحص المنطقة يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا عزيزتى .. إن المنطقة التى اختفت عندها (صقر ٦٠٠) ، تعد منطقة عارية ، حسبما يقول

الجولوجيون ، فهى أرض منبسطة كبيرة ، تبلغ مساحتها ثلاثة كيلومترات تقريبًا ، وهى خالية إلّا من الرمل والحصى ، وتشرف عليها شرقًا ثلاثة جبال صخرية شديدة الارتفاع ، تصنع ما يشبه القوس ، ولقد تم فحص المنطقة بأكملها ، فلم نجد بها كهوفًا أو ممرّات أرضية ، يمكن أن تُخفى داخلها الطائرة ، حتى أن الخبراء يقولون إن الطائرة (صقر ٦٠٠) ، إما أن تكون قد سقطت فى منطقة مخالفة تمامًا ، أو أنها تبخّرت كليةً .

غمغم (محمود) ، وكأنه يحدّث نفسه :

— أو حملها طبق طائر معه إلى كوكب آخر .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، على حين تنهّد (نور) ، واستدار يضغط على زرٍّ صغير مثبّت بمكتبه ، فانزاحت لوحة تشكيلية كلاسيكية من الحائط ، وظهرت من خلفها شاشة متوسطة الحجم ، ارتسمت فوقها خريطة جمهورية مصر العربية ..

فعاد (نور) يضغط عدّة إحداثيات فظهر مربع صغير

فى المنطقة التى حدّدها (نور) فوق الخريطة ، ولم يلبث أن تضخّم حتى ملأ الشاشة بأكملها مكبّرًا المنطقة المنشودة ، فأشار إليها (نور) قائلًا :

— هذه هى المنطقة التى حدث فيها الاختفاء يا سادة .. على حافة قرية صغيرة من قرى الصعيد الجبلية ، تدعى قرية (أبو دياب) ، فى منطقة يطلق عليها الأهالى اسم (كولة أبو ليلة) ، وهذا يعنى فى لهجتهم المحلية (جبل أبو ليلة) .. هناك يبدأ بحثنا .

سأله (محمود) فى تردُّد :

— عمَّ سنبحث أيها القائد ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم هزَّ كتفيه قائلًا :

— لست أدرى يا عزيزى (محمود) .. لقد أسندت إلينا هذه المهمة الغامضة ، وعلينا أن نحاول القيام بها على أكمل وجه ، فإمَّا أن نحلّ اللّغز ، أو ....

ومطَّ شفتيه ، قبل أن يتابع فى هدوء :

— أو نختفى بدورنا خلف (صقر ٦٠٠) .

* * *

٣ ـ تحت شمس الصعيد ..

تنهَّدت (سلوى) فى ضيق ، وقالت وهى تمسح بمنديلها المعطَّر ، بعض العرق الذى تصبَّب فوق جبينها :

ـ يا إلهى !! إننى لا أحتمل هذا الجوّ الشديد الحرارة .. سأعود إلى السيارة المكيَّفة .

ضحك (نور) ، وقال وهو يجذبها من ذراعها مداعبًا :

ـ لا تتسرَّعى يا عزيزتى ، ربما نشعر ببرودة شديدة ، حينما نواجه غزاة الفضاء ، الذين خطفوا الطائرة كما يقول (محمود) .

زفر (رمزى) ، وهو يقول :

ـ إنها على حقٍّ أيها القائد ، فهذه المنطقة حارَّة للغاية .. لا شك عندى أنها تجاوزت الأربعين درجة مئوية .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ من حسن الحظ ، أن منازل (أبو دياب) مكيَّفة الهواء هذه الأيام يا (رمزى) ، وإلَّا ما تحمَّلنا القيظ فعلًا .

أراد (رمزى) أن يعقِّب على قول (نور) ، ولكن أوقفه صوت خشن يقول فى هدوء :

ـ مرحبًا بقدومكم يا سادة .. لقد أعددنا كل شىء لاستقبالكم .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت ، فطالعهم رجل ضخم الجثة ، غليظ الملامح ، وإن نمَّت عن طيبة واضحة ،



له شعر جعد كثيف ، وعينان ضيقتان ، وشارب كثٌّ ضخم .. ابتسم وهو يمدّ يده لمصافحتهم قائلًا :

ــ معذرة .. نسيت أن أقدّم نفسى .. أنا (محمد أبو الوفا) ، عمدة قرية (أبو دياب) .

صافحه الجميع فى حرارة ، وأسرع هو يقودهم إلى داخل منزله المكيّف الهواء ، وهو يرفل فى جلبابه الأبيض ، قائلًا فى ترحاب :

ــ لقد أضاءت (أبو دياب) بقدومكم .. لا ريب أنكم تتوقّون إلى تناول بعض المشروبات المثلّجة .

همّت (سلوى) بالتأمين على قول العمدة ، إلّا أن (نور) أسرع يقول :

ــ كل ما نتوق إليه ، هو أن نسرع بجمع معلوماتنا ؛ كيلا نتأخر عن الذهاب إلى (كولة أبو ليلة) .

توقّف (أبو الوفا) لحظة ، وكأنما جاء قول (نور) مفاجئًا له ، ثم لم يلبث أن واصل سيره ، وهو يقول فى هدوء ، متحاشيًا النظر إلى (نور) :

ــ لابدّ من استضافتكم أولًا بعض الوقت ، قبل ذهابكم إلى هناك .. هذه هى تقاليدنا .

وقادهم إلى غرفة أنيقة الأثاث ، مكيّفة الهواء ، حتى أن (سلوى) شعرت بالسعادة وهى تستقر فوق مقعد وثير ، على حين قال (نور) :

ــ من الأفضل أن نذهب إلى (كولة أبو ليلة) بأسرع وقت ممكن ، قبل أن تطمس الآثار .

ظهر الوجوم لحظة على وجه (أبو الوفا) ، ثم تظاهر بالمرح وهو يقول :

ــ إن (الكولة) لن تفرّ .. ستظل فى مكانها ، حتى تذهبوا إليها .. اطمئن أيها الرائد .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يتأمّل العمدة ، ثم انحنى نحوه ، وركّز فى عينيه مباشرة ، وصمت فترة حتى شعر (أبو الوفا) بالارتباك ، وأشاح بوجهه ، وهنا سأله (نور) فى صوت عميق حازم :

ــ لم تتحاشى الحديث عن (كولة أبو ليلة) أيها العمدة ؟.. لقد تلقيت أوامر معينة ، بمعاونتنا على جمع المعلومات اللازمة عنها ، ومساعدتنا فى الوصول إليها وفحصها ، فلم تحاول الهروب من ذلك ؟

ظهر التردُّد والحيْرة على وجه العمدة ، وهو يحرِّك عينيه ، وكأنما يبحث عن مهرب من سؤال (نور) ، الذى عاد يقول فى صرامة ، وقد شاب نبراته الغضب :

ـــ لِمَ ترفض معاونتنا أيها العمدة ؟

ازداد القلق والتردُّد فى عينى العمدة (أبو الوفا) ، وهو يقول :

ـــ لست أرفض معاونتكم أيها الرائد ، ولكن ....

سأله (نور) فى حِدَّة :

ـــ ولكن ماذا ؟

تلفَّت (أبو الوفا) حوله ، وكأنه يخشى شيئًا ما ، ثم مال نحو (نور) ، وهمس وعيناه تنمَّان عن خوف عجيب :

ـــ إن هذه (الكولة) محرَّمة أيها الرائد .. إنها منطقة محرَّمة منذ عهد الأجداد القدماء .

* * *

كان لعبارة (أبو الوفا) عدة ردود فعل عجيبة ، فقد حدقت فيه (سلوى) فى دهشة ، وزوى (رمزى) حاجبيه ،

وهو يتأمَّله فى اهتمام ، متسائلاً عمَّا إذا كان يؤمن بما يقول .. وكتم (محمود) ضحكة ساخرة ، كادت تفلت من بين شفتيه ، ولكنه لم يستطع منعها من الارتسام على فمه ، فى شكل ابتسامة تهكُّمية ، أما (نور) فقال فى حِدَّة :

ـــ أليس من المؤسف أن يؤمن مثقف مثلك ، يمثِّل حكومته فى هذه القرية الجبلية بمثل هذه الخزعبلات ، التى يطل ترديدها منذ عشرين عامًا على الأقل ؟

تنهَّد (أبو الوفا) فى ضيق ، وقال :

ـــ هذا ما كان يمنعنى أو يجعلنى مترددًا فى إخباركم أيها الرائد .. فأنتم أيها العلميُّون لا تقتنعون إلَّا بما تراه أعينكم ، أو تلمسه أيديكم فقط .

تدخَّل (رمزى) قائلاً :

ـــ هذا خطأ أيها العمدة ، فمبادئ النسبية التى وضعها (أينشتين) مثلاً ، لم يتم التحقُّق منها إلَّا بعد الاعتراف بها فعلاً ، ثم إن العلم يؤمن أيضًا بالظواهر فوق الطبيعية ، كالتليباثى ، والسيكوكينزيس ، على حين أنها

ظواهر غير ملموسة ، وليست لها طبيعة ماديّة على الإطلاق .

مال (نور) ناحية العمدة ، وقال فى تحدٍّ :

ــ ولكنك على حقّ أيها العمدة .. أنا لا أصدّق حرفًا واحدًا من أمر المنطقة المحرّمة هذه .

زفر العمدة فى مزيج من الضيق والقلق والحيْرة ، وأخذ يتلفّت حوله كعادته كلما بحث عن أمر ما ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (نور) فى حِدّة ، وكأنه وجد ما يبحث عنه ، وصاح فى حماس :

ــ حسنًا أيها الرائد .. لا تتسرّع فى اتخاذ قرارك قبل أن تستمع إلى (حارس) .

سأله (نور) فى دهشة :

ــ ومن (حارس) هذا ؟

قال (أبو الوفا) فى انفعال :

ــ إنه عجوز القرية .. انتظر سأبعث من يأتى به .

لم تكد تمضى دقائق معدودات ، حتى دخل شيخ

الخفر ، وقال فى صرامة معتادة بالنسبة لأمثاله من العسكريين :

ــ لقد أحضرنا العجوز يا سيّدى العمدة .

طلب منه (أبو الوفا) سرعة إدخال الرجل ، وفى الحال خطا إلى داخل الغرفة رجل ضئيل الجسد ، محنىّ الظهر ، نحيل الوجه والجسم ، أصلع الرأس ، تدلّ التجاعيد الكثيرة الغائرة التى تملأ وجهه ، على أنه قد تجاوز الثمانين على الأقل ، وإن تضاد ذلك البريق الذى يفيض بالحيوية فى عينيه مع ذلك ، بحيث يوحى إليك أنه لم يتجاوز الستّين بعد .

كان الرجل فى اختصار ، مزيجًا عجيبًا من ضعف الشيخوخة ، وحيوية الشباب ، حتى أنه ما أن استقر فوق المقعد الذى قدّمه له العمدة ، حتى دار ببصره يتفحّص أفراد الفريق ، وهو يهزّ شاربه الأشيب الضخم ، ويقلّب عينيه البراقتين بينهم ، إلى أن قال فى هدوء ، وهو يبتسم ابتسامة ماكرة ، اختفت تحت شاربه الضخم :

ــ يبدو أن (حارس) العجوز قد ارتفعت أهميته فجأة ، إلى الحد الذى يدفع خفر العمدة لانتزاعه من كوخه الحقير ، وحمله على وجه السرعة ، ليجالس صاحب الفخامة العمدة ، وأربعة مدنيين ، تبدو عليهم علامات الذكاء والثراء .

قال (نور) فى عطف :

ــ معذرة يا سيِّد (حارس) ، إذا كان هؤلاء الخفر قد أساءوا إليك .. إنما نحتاج إلى التحدُّث قليلاً و ....

قاطعه (حارس) فجأة قائلاً ، وهو يتفحَّصه بعينيه البرَّاقتين :

ــ أنت عسكرىّ المهنة يا فتى .. أليس كذلك ؟

نظر إليه (نور) فى دهشة ، ولكن (حارس) استطرد ، دون أن ينتظر إجابته :

ــ إن الطريقة التى نطقت بها اسم الخفر ، وأسلوب حديثك ، وهذا الانتفاخ الواضح فى سترتك ، كلها تنمُّ عن أنك رجل بوليس على الأرجح ، وأنك تحمل مسدسًا من النوع الحديث ذى الإشعاع .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، وضحك (رمزى) وهو يقول :

ــ يبدو أنه ينافسك فى علم الاستنتاج أيها القائد .

التفت إليه (حارس) ، وتأمَّله لحظة قبل أن يقول فى هدوء :

ــ أنت لست شرطيًا يا بنىّ .. دعنى أفكِّر لحظة .. إن أصابعك رقيقة ، تتحرَّك فى نعومة وهدوء ، وتلك النظرة الفاحصة فى عينيك ، وتعليقك السريع .. أنت علمىّ .. طبيب أو كيميائىّ .. أليس كذلك ؟

غمغم (رمزى) ، وقد انتقلت دهشة رفاقه إليه :

ــ يا إلهى !! كيف يفعل هذا الرجل ذلك ؟

استدار (حارس) يتأمَّل (سلوى) ، التى شعرت بخوف غامض ، حينما التقت عيناها بعينى ذلك العجوز البرَّاقتين ، ولكن العمدة قال فى خشونة :

ــ كُفَّ عن استعراضاتك هذه يا (حارس) .. لَمْ آمر بإحضارك من أجل ذلك .. إن هؤلاء السادة يريدون الذهاب إلى (كولة أبو ليلة) .

اتسعت عينا العجوز فجأة ، وخبا بريقهما ، وحلّت محله نظرات يملؤها الرُّعب والفزع ، وهو يغمغم فى صوت مرتعد :

— (كولة أبو ليلة) ؟... يا إلهى !! هل هناك من يملك الشجاعة ؟.

سأله (نور) فى حدّة :

— وماذا يعنى الذهاب إلى هذا المكان اللّعين ؟.. لِمَ ترتجفون جميعًا خوفًا منه ؟

ظلّ (حارس) يحدّق فى عينى (نور) قليلًا ، ثم قال :

— أنت شجاع يا بنىّ .. شجاع لا تخاف شيئًا .. حسنًا .. سأخبرك ماذا يعنى الذهاب إلى تلك (الكولة) .. دعنى أقص عليك أولًا قصة سمعتها من جدّى ، وقت أن كنت فى السابعة من عمرى .. كان ذلك منذ أعوام طوال .. طوال جدًّا .

صمت (حارس) لحظة ، التفت عندها عيون الجميع عليه ، ثم عاد يستطرد فى هدوء وسكينة :

— قديمًا كان جدّى يملك أرضًا فى هذا المكان .. لم تكن أرضًا خصبة إلى هذا الحدّ ، ولكنها كانت تبشّر بالخير ، وكان هو عنيدًا ، فأصرّ على رعايتها حتى تصبح خصبة نافعة .. ويقول الأقدمون إنه كانت هناك سبعة أحجار ضخمة .. ضخمة إلى درجة تكفى لإخفاء جمل كبير خلف أى منها ، وكان مستقرّ هذه الأحجار السبعة فى وادى (كولة أبو ليلة) .. ويقول جدّى إن هذه الأحجار كانت مزدانة بنقوش عجيبة ، لم يكن أحد قادرًا على قراءتها ، حتى المتعلمون من أبناء القرية وقتئذ ، إلى أن جاءت تلك الليلة العجيبة .

عاد (حارس) إلى صمته لحظة ، التقط فيها أنفاسه ، ثم واصل وهم يستمعون إليه فى اهتمام :

— فى تلك الليلة عاد جدّى من حقله فى العاشرة مساءً ، متأخرًا على غير عادته ، ومرتعدًا خائفًا ، يرتجف ويهذى بكلمات غامضة عجيبة .. ولقد أثار خوفه هذا دهشة الجميع ، فلقد كان (رحمه الله) يعدّ من أشجع رجال

(أبو دياب) .. وجلست يومها أرتعد إلى جوار جدّى حتى تحدّث .. قال إنه كان يروى أرضه فى الليل ، وفجأة انشق الجبل الشرقى ، وخرج منه حجر مستدير مضىء يشبه الطبق المقلوب ، واستقر أمام الحجارة السبعة ، وخرج منه رجل له رأس مستدير من الزجاج البرّاق ، ويرتدى زيًا لامعًا كالفضّة ، وفى يده عمـود من الصُلب ، أشار به إلى الأحجار السبعة ، فارتفعت عن الأرض ، وعاد هو إلى طبقه المقلوب ، وسبح به فى الهواء ، والحجارة تتبعه ، وكأنه ربطها بخيط قوى غير منظور ، حتى غاب الجميع داخل الجبل مرة أخرى ، وعاد إلى موضعه الأول ، وكأنما لم ينشق منذ لحظات .. وأصيب جدّى برعب مذهل ، فأخذ يعدو حتى المنزل ، وهناك قصّ علينا هذه القصة العجيبة ، وعاد إلى هذيانه حتى لقى ربّه فى الصباح الباكر .

قال (نور) مقاطعًا :

ـ لا يمكن الاعتماد على مثل هذه القصة العجيبة .. إنها هذيان رجل يحتضر .

نظر إليه (حارس) بعينين ساخرتين ، وقال :

ـ كان من الممكن أن يعتبر الجميع الأمر كذلك أيها الشرطىّ ، لولا أنه فى الصباح التالى ، كشف الجميع أن الحجارة السبعة قد اختفت بالفعل .

ساد صمت عجيب بعد عبارة (حارس) الأخيرة ، حتى قطعه (محمود) قائلاً :

ـ هناك نقطة أخرى تضاف لصالح هذه القصة أيها القائد ..

استدار إليه الجميع فى تساؤل ، فاستطرد قائلا :

ـ من الواضح أن (حارس) قد تجاوز التسعين ، وهذا يعنى أن رواية جدّه تعود إلى ثمانين عامًا خلت على الأقل .. أى فى ثلاثينات القرن العشرين ، وبرغم هذا فقد وصف جدّه الذى لم يكن متعلّمًا على الأرجح .. وصف فى عصر لم يكن به حتى التليفزيون العادى ، وصفًا دقيقًا واضحًا لطبق طائر ، يخرج منه رائد فضاء ، فى زيّه المألوف .

وصمت لحظة مراقبًا انفعالات رفاقه ، ثم تابع فى هدوء :

ــ ألا يثير هذا الدهشة ... والرُعب ؟!

* * *



٤ ــ شاهد عيان ..

تحرّك (نور) فى عصبية واضحة ، داخل حجرة العمدة (أبو الوفا) ، ثم استدار إلى (حارس) ، وسأله فى انفعال :

ــ ماذا تحاول بالضبط أيها العجوز ؟.. هل تسعى إلى إثارة الرُعب حول (كولة أبو ليلة) ؟

ابتسم (حارس) فى خبث وهدوء ، وقال :

ــ إنما أقصّ فقط ما حدث ، وهو الذى يبعث فى نفوسكم الرُعب .. ثم إن كل ما قلته ليس سوى البداية .. فإنه فقط السبب فى تحوُّل (الكولة) إلى منطقة محرّمة .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة مريرة ، وقال فى حنق :

ــ هراء .

ولكن (رمزى) سأل العجوز فى اهتمام :

ــ ماذا حدث بعد هذا يا (حارس) ؟

هزّ العجوز كتفيه الهزيلتين ، وقال وهو يتأمّل (نور) ، الذى أولاه ظهره فى غضب :

ـــ حوادث كثيرة متفرّقة ، بدأت برؤية أضواء غير مهتزّة ناحية (الكولة) .. وهذا يعني أنها ليست نيرانًا ، على حين لم تكن القرية كلها تضاء بغير المشاعل ، ثم ثلاث أو أربع حوادث اختفاء لأشخاص يتجرءون على الذهاب إلى هناك ، ثم تحوّلت المنطقة إلى أرض محرّمة لا يطؤها إنسان .. وأخيرًا حادث تلك الطائرة التي اختفت هناك ، و ....

استدار إليه (نور) في حدّة ، وسأله في غضب :

ـــ كيف علمت بأمر الطائرة أيها العجوز ؟.. إن الأمر لا يزال طيّ الكتمان .

ابتسم (حارس) ، وقال في هدوء :

ـــ يبدو أن العمدة قد نسي أن يخبركم يا سادة ، أنني أقيم في كوخ حقير ، يطل على الجانب الشمالي من (الكولة) ، وأنني رأيت كل شيء منذ هبوط هذا الطيّار الأحمق إلى علوّ منخفض ، وحتى اختفائه .. كل شيء تقريبًا .

* * *

قفز (نور) فجأة نحو (حارس) ، وجذبه من جلبابه في قسوة أدهشت الجميع ، وهو يسأله في حدّة :

ـــ ستقصّ عليّ كل ما رأيته بالتفصيل أيها العجوز .. أليس كذلك ؟

خلّص العجوز جلبابه القديم من قبضة (نور) في لطف ، وهو يبتسم في خبث ويقول :

ـــ هل ستؤذي عجوزًا مثلي أيها الشاب المفتول العضلات ؟

شعر (نور) بالخجل ، فقال وهو يجلس محاولًا استعادة هدوئه :

ـــ معذرة أيها العجوز .. قصّ عليّ ما لديك .

ابتسم (حارس) ، وقال في هدوء :

ـــ حسنًا أيها الرائد .. لقد كنت أجلس في كوخي متأمّلًا ، حينما عبرت تلك الطائرة المزعجة فوقه مباشرة ، مثيرة عاصفة من الغبار كالعادة .. ولم تكد العاصفة تخبو ، حتى عادت الطائرة بشكل يشير إلى أن قائدها يريد

مشاهدة شىء ما ، فخرجت من كوخى أتأمل ما يحدث ، ورأيت ذلك الأحمق يهبط مرتين ، حتى أصبح ارتفاعه أقل من ارتفاع (الكولة) نفسها .. كان يطير فوق الوادى .. وفجأة توقفت طائرته .. تعلّقت فى الهواء ، وكأنما انعدمت الجاذبية حولها تمامًا .

تبادل أعضاء الفريق نظرات الدهشة ، وغمغم (محمود) :

ــ المجال الكهرومغناطيسى المحيط .

وصاح (نور) يسأل العجوز :

ــ هل رأيت ما الذى كان الطيّار الشاب ينطلق نحوه ؟

مطّ العجوز شفتيه ، وقال فى أسف :

ــ لم يمكننى ذلك ؛ لأنه كان ينطلق نحو الشرق ، ومن العسير فى موقع كوخى رؤية الجانب الشرقى من (الكولة) ، ولكننى برغم ذلك حاولت أن أرى ما يحدث ، خصوصًا حينما عادت الطائرة تتحرك فى سرعة

نحو الجبل الشرقى ، دون أن تدور محركاتها ، وكأن مغناطيسًا قويًا يجذبها فى شدّة ، ولكن ....

سأله (نور) فى لهفة :

ــ ولكن ماذا ؟..

هزّ (حارس) رأسه فى أسف ، وقال :

ــ قبل أن أصل ، سمعت صوتًا عجيبًا ، يشبه صوت اندفاع تيّار قوى من الهواء فى أنبوب ضيق ، ثم حينما أطللت لأرى ماذا هناك ، كانت الطائرة قد اختفت تمامًا .

صاحت (سلوى) فى دهشة :

ــ ماذا ؟.. ألم يكن هناك أدنى أثر ؟

هزّ العجوز رأسه ، وهو يقول فى دهشة :

ــ مطلقًا .. كان الجبل كما هو ، والوادى منبسط كما كان ، كل شىء كما هو ما عدا الطائرة .. اختفت دون أدنى أثر .

غمغم (محمود) فى حنق :

ــ ربّاه !! لقد زدت الأمر غموضًا أيها العجوز .

ساد الصمت طويلاً بعد عبارة (محمود) ، حتى قال (نور) فى هدوء غامض :

ــ سيظل الأمر يزداد غموضًا ، ما دمنا نجلس هنا فى غرفة وثيرة ، مكيّفة الهواء يا (محمود) .

التفت إليه الجميع ، وسأله (أبو الوفا) فى قلق :

ــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟

نهض (نور) ، وهو يقول هادئًا :

ــ أعنى أننا ينبغى أن نتوجّه إلى مسرح الحادث أيها العمدة .

سألته (سلوى) فى خوف :

ــ هل تعنى أن نذهب إلى (الكولة) يا (نور) ؟

أجابها فى بساطة :

ــ بالطبع يا عزيزتى .. هذه هو الطريق الوحيد إلى حلّ اللغز .

تألّقت عينا (حارس) العجوز فى جذل ، وهو يسأله :

ــ برغم كل ما سمعت يا بنىّ ؟

أجابه (نور) ، وقد تألّقت عيناه أيضًا ببريق العزم والتصميم :

ــ برغم كل شىء أيها العجوز .. سأذهب ، حتى ولو كان هذا آخر عمل أقوم به فى حياتى .

استرخى العجوز ، وهو يقول فى بساطة :

ــ إنه كذلك يا فتى .. إنه كذلك .

* * *



٥ ـ المنطقة المحرَّمة ..

تطلّع العمدة (أبو الوفا) ، من فوق الجبل الغربي لـ (كولة أبو ليلة) في حذر ، وقال محدّثًا العجوز (حارس) :

ـ لقد وصلوا إلى قلب المنطقة المحرَّمة .. إن هؤلاء الفتيان شجعان حقًّا .

أومأ (حارس) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ من المؤسف أن نفقد شبابًا مثلهم .

ازدرد (أبو الوفا) لعابه في توتُّر ، وسأله في لهجة أقرب إلى التوسُّل :

ـ هل .. هل لابدَّ من فقدهم إلى الأبد ؟... أعني هل هناك وسيلة أخرى ؟

هزَّ (حارس) العجوز رأسه في أسف ، وقال وهو يتطلّع إلى أفراد الفريق من فوق الجبل ، ويشير بطرف خفيّ إلى الجبل الشرقي .

ـ أنت تعلم كالجميع ما يحدث هنا .. إنهم لن يسمحوا لهم بالعودة ، إذا ما كشفوا الأمر .. أنت تعلم ماذا يحدث عادة .

أطرق (أبو الوفا) في أسف ، وقال فيما يشبه البكاء :

ـ نعم أيها العجوز .. أنا أعلم كالجميع ماذا سيحدث .. من المؤسف أن يضطرني الخوف إلى السكوت .. يا للعار !!

بدا وجه العجوز متحجِّرًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. يا للعار !!

* * *

ارتجف جسد (سلوى) جزءًا من الثانية ، وهي تتطلّع إلى الوادي المنبسط ، ثم قالت وهي تزيح عن جبينها خصلة نافرة من شعرها الأسود الفاحم :

ـ إن المكان يبدو كما وصفته لنا تمامًا يا (نور) ، حتى أنني لم أشعر بالغربة حين وصلنا ، ولكنني في الواقع أرتعد خوفًا .

قال (رمزى) وهو يتأمَّل الجبال الثلاثة العالية ، التى تصنع ما يشبه القوس حول الوادى :

ــ يبدو أننى أيضًا أشاركك هذا الشعور يا (سلوى) ، إلى حدّ أننى أتساءل كيف سيبدو هذا المكان المقبض ، حين تغرب عنه الشمس ؟

قال (نور) ، وهو يتطلَّع إلى الوادى :

ــ من الطريف أن الشمس ستغرب فى اتجاه الوادى المنبسط ، وبذا سيكون هناك ما يكفى من الضوء حتى اللحظة الأخيرة .

تأمَّل (محمود) الوادى ، وقال فى تعجب :

ــ ألَمْ تلحظ أن هذا الوادى منبسط أكثر من اللازم أيها القائد ؟

ضاقت حِدقتا (نور) ، وهو يتطلَّع فى اهتمام إلى الوادى الممتد حتى الأفق ، وغمغم :

ــ هذا صحيح يا (محمود) .. إنه يبدو ممهّدًا بصورة عجيبة ، فحتى الأفق لا ألمح انبعاجًا أو انحناءً واحدًا فيه .

التفت الجميع يفحصون المكان ، ثم قال (رمزى) :

ــ هذا بالإضافة إلى أن الحصَى يكاد يكون منعدمًا هنا ، على عكس المناطق الجبلية الأخرى .. عفوًا يا رفاق ، ولكن يبدو أن هذا المكان قد أُعِدّ ليكون مهبطًا لنوع متطوِّر من الطائرات ، أو ....

غمغمت (سلوى) فى خوف ، تتم عبارته :

ــ أو أطباق طائرة .

ساد الصمت طويلًا ، ثم استدار (نور) إلى الجبل الشرق ، وأشار إليه قائلًا :

ــ وهنا يكمن حلّ اللُّغز يا رفاق .

استدار الجميع يتطلَّعون إلى الجبل الشرق ، ثم سأله (رمزى) :

ــ وماذا تتوقَّع أن يحوى هذا الجبل أيها القائد ؟

قال (نور) فى ثقة وتأكيد :

ــ فكِّر معى يا (رمزى) .. لقد اختفت الطائرة (صقر ٦٠٠) ، وهى تتجه نحو هذا الجبل .. اختفت

فجأة دون أن تترك أثرًا ينمُّ حتى عن تحطيمها .. ثم إن قائدها كان فى أثناء سيره ، يرى الجبل الشرقى فى مواجهته ، حينما بدأ يتحدَّث عن ذلك الشىء الذى أدهشه .

قالت (سلوى) ، وهى تفحص الجبل فى عناية واهتمام :

ـــ ولكنه يبدو عاديًا جدًا يا (نور) .. مجرَّد كتل من الصخور والحجارة .

وقال (رمزى) :

ـــ اسمح لى أن أعرض وجهة نظر مخالفة أيها القائد ، فمن المحتمل أن يكون ذلك الشىء الذى رآه قائد (صقر ٦٠٠) يقف أمام الجبل الشرقى .. ربما كان طبقًا طائرًا ، أو شيئًا من هذا القبيل ، و ....

قاطعه (نور) محتدًا :

ـــ كيف إذن لم يَرَه العجوز (حارس) ؟

صمت (رمزى) محاولًا البحث عن تفسير مُرْضٍ ، على حين قال (نور) ، وهو يتجه إلى الجبل الشرقى :

ـــ دَعُونا لا نضيع الوقت فى النقاش ، ولنبدأ على الفور فحص المنطقة ، ما دمتم تخشون غروب الشمس إلى هذا الحدّ .

* * *

رشف (أبو الوفا) جرعة من الشاى الساخن ، الذى قدمَّه له (حارس) ، ونظر مرة أخرى إلى أفراد الفريق الذين انهمكوا فى بحثهم ، وقال :

ـــ لَمْ يعد باقيًا سوى ساعتين فقط على الغروب ، وما زالوا يفحصون المنطقة بنفس الاهتمام .. هل تعتقد أنهم نجحوا فى العثور على شىء ؟

هزَّ (حارس) رأسه نفيًا فى ثقة ، وقال :

ـــ ما داموا بخير ، فهم لَمْ يكتشفوا شيئًا بعد .

نظر إليه العمدة طويلًا ، وكأنه يحاول سبر أغواره ، ثم قال فى بطء :

ـــ هل تعتقد ذلك ؟

أومأ العجوز برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ هل تظنّ أنهم لا يراقبونهم منذ وصولهم إلى المنطقة المحرّمة ؟.. إننى لا أشك لحظة فى أنهم قد فهموا فى الحال ، مدى التقدُّم العلمى الذى تتمتع به هذه المجموعة ؛ لذا فهم لا يريدون كشف أنفسهم إلّا إذا دعت الضرورة ، كأن يكشف هؤلاء شيئًا ما مثلًا .

ارتعد جسد (أبو الوفا) لحظة ، وعاد يرتشف الشاى وهو يغمغم :

ــ كم أتمنّى ألا يكشفوا شيئًا إذن .. إن هؤلاء الشبان فى عمر الزهور ، ومن الخسارة أن نفقدهم كسابقيهم .

* * *

تنهّد (محمود) فى كلل ، واستدار يتطلّع إلى الشمس التى قاربت الغروب ، وهو يمسح العرق المتصبّب على جبينه ، ثم قال وهو يغلق جهازه الكشفى الصغير :

ــ لا شىء أيها القائد .. هذه المنطقة خالية من الإشعاعات تمامًا .

قطّب (نور) حاجبيه فى ضيق ، وكأنما لم يكن يتوقّع هذا الجواب ، ثم استدار إلى زوجته وسألها فى اهتمام :

ــ وأنت يا (سلوى) ؟

هزّت رأسها نفيًا بدورها ، وقالت :

ــ لا شىء يا (نور) .. لا تردُّدات صوتية أو فوق صوتية .. هذه المنطقة خالية من تلك المؤثرات تمامًا ، كما لو أننا عدنا ألفى عام إلى الوراء .

رفع (نور) رأسه إلى أعلى ، وتنهّد فى حَيْرة ، ثم غاب فى تفكير عميق ، فاقترب منه (رمزى) ، وهمس وكأنه يخشى إخراجه من حالة التفكير هذه :

ــ أليس من الأفضل أن نعود أيها القائد ؟.. لقد شارفت الشمس على الغروب .

نظر إليه (نور) صامتًا بعض الوقت ، ثم قال فى بطء :

ــ فلنعُد يا (رمزى) ، ما دام لم يعد هناك ما نفعله هنا .

واستدار ينظر إلى الجبل الشرقى فى أسف ، وفجأة تبدلّت أساريره ، وحلّت الدهشة محل الأسف فى ملامحه ، وهو يشير إلى الجبل صائحًا :

ـــ يا إلهى !! ما هذا ؟

نظر الجميع إلى حيث أشار (نور) ، ثم سألته (سلوى) فى حيرة :

ـــ ماذا هناك يا (نور) ؟.. ماذا ترى ؟

صاح (نور) ، وهو يشير إلى أعلى الجبل :

ـــ انظروا هناك .. ذلك النقش بالغ الضخامة . لقد أوضحته أشعة الشمس ، حينما أصبحت فى مواجهته تمامًا لحظة الغروب .. هل ترونه جيدًا ؟

وفى تلك اللحظة فقط ، ميَّز الجميع نقشًا واضحًا ، مكوَّنًا من أجزاء الصخور المتطايرة فى براعة شديدة ، بحيث يصعب تمييزه إلا بالنسبة لمن يعلم بوجوده فقط .. كان النقش يمثِّل رمزًا فرعونيًا مألوفًا ، وإن لم يره أحد من قبل بمثل هذه الضخامة .. كان عبارة عن مفتاح الحياة الفرعونى القديم بحجم الجبل الشرق كله .

* * *

٦ ـــ لعنة الأجداد ..

ظل أفراد الفريق يحدِّقون فى دهشة ، فترة طويلة فى ذلك النقش الضخم ، حتى صاح (نور) :

ـــ إلىَّ بمنظارك الإليكترونى المقرِّب يا (محمود) .. أريد أن أفحص هذا النقش عن قرب .

عاد (محمود) إلى تشغيل جهازه ، ثم أدار شاشته بحيث واجهت النقش ، وقال :

ـــ ها هوذا أيها القائد .. سيقرِّب المشهد إليك ، كما لو كنت تقف على بعد سنتيمترات قليلة منه .

أخذ (نور) يفحص النقش طويلًا ، ثم قال :

ـــ إنه نفس النقش الفرعونى يا رفاق ما فى هذا من شك ، ولقد تم حفره على جانب الجبل ، باستخدام وسائل متطوِّرة للغاية ، إذ أن حوافه ناعمة كما لو كانت من رخام .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـ هذا يعنى أن ذلك الوادى هو فى الواقع منطقة فرعونية أثرية .. كيف لم يكتشف ذلك طوال هذه السنين ؟.

قال (نور) فى حماس :

ـ لقد حال الخوف دون ذلك يا صديقى .. إن خرافة لعنة الفراعنة ، التى تمثلت فى اسم المنطقة المحرّمة ، منعت الناس من القدوم إلى هنا عشرات السنين يا (رمزى) ؛ لهذا لم تكتشف بعد .

تدخلت (سلوى) ، متسائلة فى حَيْرة :

ـ ولكن ما صلة هذا باختفاء الطائرة ؟

أسرع (رمزى) يقول :

ـ هناك من يقولون إن قدماء المصريين أو الفراعنة ، هم فى الواقع قوم أتوا من الفضاء الخارجى ، وربّما ....

قاطعه (نور) ، قائلًا فى ضيق :

ـ دعْك من هذه الخزعبلات يا (رمزى) ، إن من يدّعون هذا إنما يهدفون إلى تجريدنا من حضارتنا ، وأمجادنا القديمة ، بحيث نبدو غير قادرين على بناء أية حضارة ، وإنما

يفعل ذلك أقوام آخرون من مجرّات أخرى .. هذا هراء .

نظر إليه (رمزى) فى حَيْرة ، وقال :

ـ كيف نفسّر إذن ، عملية اختفاء الطائرة (صقر ٦٠٠) أيها القائد ؟

عاد (نور) يقطّب حاجبيه ، قائلًا :

ـ لا ريب أنّ هناك تفسيرًا منطقيًّا لكل هذا يا عزيزى (رمزى) .. سنجد تفسيرًا لكل هذا .

قالت (سلوى) ، فى مزيج من الخوف والضجر :

ـ فلندع أجدادنا الفراعنة وشأنهم ، ولنترك هذا التفسير لما بعد ، فقد جاوزنا الغروب ، ولست مستعدّة لقضاء ساعة واحدة فى هذا المكان بعد الظلام .. إننى أفضل الهزيمة عن ذلك .

قال (نور) فى توتّر :

ـ يمكنك الانتظار قليلًا يا عزيزتى ، لقد وضعنا أيدينا على بداية الحل .

قالت (سلوى) فى عناد :

ــ إننى أفضّل الاختباء فى غرفتى ، والاحتفاظ برأسى ، عن الموت فى هذه المنطقة المخيفة .

حرّك (نور) رأسه فى غضب ، وهمّ بالتحدّث إليها ، ولكن ملامحه تبدّلت فجأة ، وبرقت عيناه ببريق مألوف ، وهو يهتف فى صوت مفعم بالانفعالات :

ــ يا إلهى !! لقد نطقت بالحلّ لتوّك يا (سلوى) .. لقد نطقت بحلّ اللّغز فى جملة واحدة .

* * *



٧ ــ التفسير المذهل ..

نظر أفراد الفريق إلى (نور) فى ذهول ، على حين تهلّلت أساريره ، وهو يقول فى سرعة وانفعال :

ــ لقد أخطأنا منذ البداية يا رفاق .. أخطأنا حين تصوّرنا أن الأمر يعود إلى غزاة من الفضاء .. إن المسئولين عن اختفاء (صقر ٦٠٠) من هنا .. من كوكب الأرض .. إنهم فى الواقع من نفس نسلنا .

سأله (رمزى) ، فى ذهول :

ــ ماذا تعنى بهذا يا (نور) ؟

أجابه فى لهفة :

ــ راجع معى ما لدينا يا عزيزى (رمزى) .. نقش هائل يمثّل مفتاح الحياة الفرعونى ، وسبع صخور ضخمة ، منقوشة بنقوش يعجز حتى المعلمون عن قراءتها ، وأحداث عجيبة مذهلة ، تحدث فى هذا المكان .. تذكّر معى قصة جدّ (حارس) .

سألته (سلوى) ، وقد كاد الفضول يقتلها :

ــ أفصح عما تريد قوله يا (نور) ، أرجوك ، ودع شرح كيفية توصُّلك إليه لما بعد .

قال (نور) ، وقد استعاد بعض هدوئه :

ــ حسنًا يا عزيزتى .. سأقصّ عليكم أمرا بدأ منذ آلاف السنين .. منذ فضّل بعض أجدادنا الفراعنة ، الاختباء والنجاة بحياتهم ، بدلًا من الموت والاندثار بعد هزيمة ما .. كلنا يعلم مدى التقدُّم الذى كان عليه الفراعنة القدماء ، وكنا جميعًا نتساءل : كيف انهارت مثل هذه الحضارة العظيمة ؟ وأين ذهبت تلك المنجزات العلمية الشهيرة ؟ كفن التحنيط مثلًا ؟.. إنها لم تندثر يا رفاق .. إنها تختبئ .

نظر إليه الجميع وقد تضاعفت دهشتهم ، فتابع قائلًا فى هدوء :

ــ كما كنت أقول .. منذ آلاف السنين واجه أجدادنا الفراعنة خطرًا ما أو هزيمة ما ، ففضل بعضهم تحت ضغط

الظروف ، اللُّجوء إلى مبدأ (سلوى) ، وأقصد الاختباء بدلًا من الموت ، واختاروا مخبأهم هذا المكان ، الذى يطلق عليه السكان المنطقة المحرّمة ، ومن الأرجح أن هؤلاء المختبئين كانوا صفوة العلماء أو الكهنة ، الذين يحملون مفاتيح العلم ، وطال اختباء هؤلاء ، حتى انتهى الحدث الذى أجبرهم على ذلك .. وحينما أرادوا العودة ، وجدوا أن الظروف المحيطة قد تغيَّرت ، بحيث أصبح من المستحيل اندماجهم بالظروف الجديدة ، وهكذا واصلوا اختباءهم وتقدمهم حتى بلغت علومهم حدًا مذهلًا ، ونقشوا قصتهم هذه على الأحجار السبعة الضخمة ، إلى أن حدث جديد دفعهم إلى محاولة إخفاء كل دليل على وجودهم ، والانزواء فى مخبئهم هذا ، ولا ريب عندى أن علمهم وتقدُّمهم قد بلغ شأنًا عظيمًا ، يفوق تقدُّمنا الحالى ، الذى بدأ من حيث انتهت حضارتهم ..

صمت (نور) لحظة ، وكأنه يرتّب أفكاره ، ثم واصل قائلًا :

ــ وذات يوم ، وبينما يجرون إحدى التجارب ، التى تعدّ

بالنسبة لنا شيئًا مذهلًا ، شاهدتهم (صقر ٦٠٠) ، ولم يكن هناك مفرّ من إسقاط الطائرة وإخفائها ، خشية انفضاح أمرهم .

غمغم (رمزى) :

ـــ خيال خصب أيها القائد ، ولكن ليس هناك دليل واحد على ما تقول .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ سيوجد الدليل القاطع ، حينما يفحص علماؤنا هذا الجبل الضخم ، المزيّن بنقش مفتاح الحياة يا (رمزى) ، ويعثرون على ما بداخله .

نقل أفراد الفريق نظراتهم فى دهشة بين (نور) والجبل ، وصاحت (سلوى) :

ـــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

أجابها فى ثقة :

ـــ أعنى أن هذا الجبل يحوى مدخلًا سريًّا ضخمًا ، يختفى خلف الصخور يا عزيزتى .

صاح (محمود) فى دهشة :

ـــ ولكن هذا مستحيل أيها القائد .

أشار إليه (نور) بسبّابته ، قائلًا :

ـــ هذا بالضبط ما قاله الـ (صقر ٦٠٠) ، حينما وقع بصره على هذا المخبأ السرّى فى باطن الجبل ، حتى أنه ظن الأمر مجرّد دعابة سخيفة ، عندما رأى الجبل مفتوحًا بشكل ما ، ودفعته دهشته للهبوط إلى ارتفاع تسعة عشر مترًا فى مخاطرة عجيبة .. وهنا رأى ما بداخل الجبل ، ويبدو أن ما رآه كان عجيبًا إلى حدّ أنه تصوّر كونه من خارج الأرض ، ومن الواضح أيضًا أنه شىء متقدّم للغاية ، وهذا ما قاله بالفعل ، ثم تعرّض للمجال الكهرومغناطيسى كما شرح العجوز ، وجذبه المختبئون إلى داخل مخبئهم ، ثم أعادوا إغلاقه .

ظهر الشك على وجوه أفراد الفريق ، وقال (محمود) فى تردُّد ، وكأنه يخشى أن يسىء إلى (نور) :

ـــ جبل يفتح كممر سرّى ، وفراعنة يعيشون بيننا

حتى الآن ، وتطوُّر علمى مذهل ، يفوق ما نراه فى القرن الحادى والعشرين .. معذرة أيها القائد ، ولكن خيالك قد جمح بعيدًا جدًّا هذه المرة .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

ــ ربما يبدو تفسيرى مذهلاً ، وخياليًا أكثر من اللازم يا (محمود) ، ولكن الأمور كلها تنتظم حينما نضعه موضع التفكير .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وقال :

ــ هذا ليس دليلاً على صحته أيها القائد .

وفجأة تعالى صوت أزيز قوىّ آلم آذانهم ، وصاحت (سلوى) :

ــ ما هذا ؟.. من أين يأتى هذا الصوت المزعج ؟

تلفّت الجميع حولهم فى قلق بحثًا عن مصدر الأزيز ، ثم صرخ (محمود) فى ذعر :

ــ يا إلهى !! إنه جهازى .. كنت قد أعددته للعمل .. هناك إشعاع قوى للغاية يملأ المكان .. إشعاع مجهول .

وفجأة .. أطلقت (سلوى) صرخة ، طافحة بأبشع معانى الرُّعب والفزع ، وتعلّقت بذراع (نور) ، وهى ترتجف فى قوة كالطير الذبيح ، وصاحت فى صوت مرتجف من شدة الخوف ، وهى تشير إلى الجبل الشرق :

ــ انظروا .. لقد كان (نور) على حقٍّ .. يا إلهى !! لقد انتهينا جميعًا .

* * *



٨ ــ عمالقة الجبل ..

تلفّت العمدة (أبو الوفا) حوله ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يقول فى صوت منخفض ، وكأنه يخشى أن يزعج أحدًا :

ــ سأنصرف يا (حارس) .. لقد اختفى قرص الشمس فى الأفق ، ولن يلبث الظلام أن يسود تمامًا .

ابتسم العجوز (حارس) ، وقال فى خبث :

ــ كما يحلو لك أيها العمدة .. سأبقى أنا وحدى فى الظلام .

تطلّع إليه (أبو الوفا) فى حنق ، ثم أشاح بوجهه ، وقال :

ــ هل يغادر هؤلاء الشبان المنطقة المحرّمة ؟.. هل يحاولون التظاهر بالشجاعة ؟

هزّ العجوز كتفيه ، وقال فى لهجة اشتم فيها العمدة رائحة السخرية :

ــ ربما أنهم لا يتظاهرون بذلك أيها العمدة .

شعر العمدة ببعض الحنق ، فنهض وهو يقول فى توتّر :

ــ اسخر كما يحلو لك أيها العجوز .. لقد أصبحت أيامك على الأرض معدودة ، ويبدو أن الخلل قد وجد طريقه إلى عقلك ، بعد أن نسيك طوال السنين الماضية .

ابتسم (حارس) ابتسامة تجمع بين السخرية والخبث ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، واستدار العمدة مغضبًا يزمع الرحيل ، وهو يلملم أطراف جلبابه الأبيض النظيف .

وفجأة .. انطلق فى الهواء صوت قوى ، يشبه اندفاع تيار هوائى فى أنبوب ضيق ، وخُيّل للعجوز والعمدة أنهما رأيا ضوءًا عجيبًا يملأ المكان جزءًا من الثانية ، ثم يتلاشى فى نفس الوقت الذى يقوى فيه صوت الهواء المضغوط ..

اتسعت عينا العمدة رعبًا ، وجفّ حلق العجوز ، وهو يسرع ليتطلّع إلى الوادى المحرّم ، ولحق به العمدة ، الذى لم يلبث أن أطلق صرخة خافتة ، تنمّ عن رعب شديد ، وترنّح

جسده من هول المفاجأة ، وهو يشير إلى الجبل الشرق صائحًا :

ــ انظر يا (حارس) .. انظر أيها العجوز .. أخيال هو أم وهم ؟.. إن الجبل ....

قاطعه (حارس) قائلًا :

ــ صَهْ أيها العمدة .. لقد أغضب هؤلاء الحمقى سادة الجبل ، وليس لنا أن نتدخل ، وإلّا لقينا حتفنا مثلما سيحدث لهم .

وازدرد ريقه ، قبل أن يستطرد فى رعب :

ــ أنت لا تعرف سادة الجبل .. إن الرحمة كلمة لا يحويها قاموسهم .

* * *

تعلّقت عيون أفراد الفريق بالجبل الشرق فى ذهول ، وقد أنساهم ما يرونه ذلك الصوت القوى الذى يتردَّد حولهم .. كان ما تُبصِره أعينهم أمرًا يستحق الذُّهول فعلًا .. فلقد خُيِّل إليهم أن الجبل الشرق الضخم قد انقسم فجأة إلى

نصفين عند منتصف النقش الذى يمثل مفتاح الحياة تمامًا ، وتحرَّك النصفان كل إلى جانب ، لتتكشف بينهما فجوة ضخمة ، تموج بأضواء شديدة ، أنارت الوادى المحرَّم ، كما لو أن الشمس قرَّرت العودة إلى السماء مرة أخرى ..

وعجز أفراد الفريق عن مواجهة الأضواء القوية فترة قصيرة . ثم تبيَّنت عيونهم ما يقع أمامهم ، وانبثق الذهول مرة أخرى إلى وجوههم ونفوسهم ، وتملّكهم جميعًا رعب شديد ، وكان (رمزى) أول من صرخ قائلًا :

ــ إنها مدينة كاملة .. يا إلٰهى !! إنهم أكثر تقدُّمًا منّا بكثير .

تنبَّه الجميع على صراخ (رمزى) ، وصاح (نور) وهو ينتزع مسدسه الليزرى من سترته :

ــ تراجعوا جميعًا يا رفاق .. لن يمكننا مواجهة هؤلاء .

انطلق الجميع يجرون نحو سيارة (نور) الصاروخية ، وقد تولّاهم ذُعر خفىّ .. حتى (نور) اعترف لنفسه أنه

يشعر برعب لم يمر به فى حياته من قبل ، وإن خُيِّل إليه لحظة أن أصحاب المنطقة المحرَّمة لم يحاولوا مقاتلتهم ، وأنهم سمحوا لهم بالهروب .

ولكن رأيه هذا لم يلبث أن تبخَّر تمامًا ، حينما رأى شيئًا يشبه الكرة الهلامية الشفَّافة ينطلق من الفجوة المضيئة ، ويتجه نحوه مباشرة ..

استدار (نور) ، وأطلق أشعة مسدسه على الكرة الهلامية ، فأصابها فى منتصفها تمامًا ، وسمع صوتًا يشبه انفجار كيس مملوء بالماء ، ورأى كتلة من الضوء البرتقالى الزاهى تنبعث من الفقَّاعة ، ثم تتلاشى وتختفى الفقَّاعة الهلامية ، وفى نفس الوقت اندفعت خمس فقَّاعات أخرى من الفجوة ، وأحاطت بالرائد (نور) فى تشكيل عجيب ، كما لو أنها عاقلة تفكِّر ، أو أن محركها خبير بالتكتيك الحربى ..

ولاحظ (نور) أن أربع فقاعات من الخمس ، ذات لون أحمر ، أما الخامسة فكانت خضراء زاهية ، وعمل عقله

فى سرعة .. خمَّن على الفور أن ذات اللون الأخضر هى المتميِّزة ، أو أنها قائدة المجموعة ..

وطبقًا للمبدأ القتالى المعروف منذ آلاف السنين ، أطلق (نور) أشعة مسدسه على منتصف الفقَّاعة الخضراء تمامًا ، ورآها تنفجر فى شلال من الأضواء الزرقاء والبنفسجية .. وفى الحال ، تلاشت الفقَّاعات الأربع الأخرى ، فى صوت يشبه الصفير المكتوم ...

توقَّف (نور) لحظة صامتًا ، وخُيِّل إليه أنه يتلقَّى رسالة ما ، رسالة عقلية بواسطة تلك الموهبة العقلية فوق الطبيعية المعروفة باسم (التليباثى) ..

كانت ملامح (نور) تعبِّر عن الدهشة والحَيْرة ، وهو يرخى ذراعه الممسكة بالمسدس ، وقد شرد بصره ، وجمدت ملامحه بشكل عجيب ، ورأت (سلوى) ما أصابه بعد أن كانت قد استقرت فى المقعد المجاور لمقعد القيادة فى السيارة الصاروخية ، فأصابها الذُّعر ، وصرخت فى هلع :

ـــ أسرع يا (نور) .. ماذا أصابك ؟

ولكن (نور) لم يتحرك من مكانه ، وكأنه لم يسمع صياح زوجته ، ولو أننا اقتربنا منه ، فسنجد أنه يتمتم ببضع عبارات غامضة عجيبة ، وقد تحجَّرت مقلتاه ، كما لو أنه تمثال من الخزف ، وصرخت (سلوى) فى جزع :

ـ يا إلٰهى !! ماذا أصابه ؟

ضاقت عينا (رمزى) ، وهو يقول فى دهشة :

ـ إنه يبدو كما لو أن شيئًا ما ، يسيطر على عقله وإرادته .. ربما يطلقون نوعًا من موجات شل الإرادة ، أو ....

صاحت (سلوى) مقاطعة :

ـ ولماذا لم يتأثَّر بها سواه ؟

قال (رمزى) فى شرود ، وهو يتأمَّل (نور) :

ـ ربما ضبطوها على موجات عقله بالذات .. ولكن .. كيف ؟

فتحت (سلوى) باب السيارة ، وقفزت منها صائحة فى تصميم :

ـ لن انتظر حتى أعلم كيف يا (رمزى) .. لن أترك زوجى فى هذه الحالة وحده .

وفجأة .. خرجت من الفجوة فقَّاعة ضخمة ، ذات لون ذهبى برَّاق ، واتجهت نحو (نور) ، فصرخت (سلوى) فى جزع :

ـ يا إلٰهى !! سيأسرونه .. سيأسرون (نور) .

وأسرعت نحوه ، غير مبالية بصراخ (رمزى) و (محمود) ، وهما يحاولان منعها من الذهاب ، وقفزت تجذبه من ذراعه صائحة :

ـ (نور) .. احترس يا (نور) .

انتفض (نور) فجأة ، وكأنه يستيقظ من حلم عجيب ، ونظر إلى (سلوى) فى دهشة ، ثم بدا وكأنه استعاد نشاطه دفعة واحدة ، فرفع مسدسه الليزرى نحو الفقاعة الذهبية .. وتصوَّرت (سلوى) لحظة أنه سيحطِّمها بأشعته ، ولكن (نور) تردَّد فجأة ، وأعاد مسدسه إلى جواره ، ثم استدار إلى (سلوى) ، وجذبها من

معصمها دون أن ينطق بكلمة ، وانطلق يعدو بها نحو السيارة ، وقفز كلاهما داخلها ، ثم أدار (نور) محركها الصاروخى ، عندما كانت (سلوى) تسأله :

ـــ لماذا لم تحطِّم تلك الفقَّاعة يا (نور) ؟

نظر إليها (نور) بعينين حائرتين ، دون أن يحير جوابًا ، فصاح (رمزى) :

ـــ هيَّا بنا أيها القائد ، ولنؤجل التفسيرات لما بعد .

وللمرة الثانية ، بدا وكأن (نور) يستيقظ من حلم عجيب ، وأدار محرِّكات السيارة ، ثم ضغط دوَّاسة الوقود بكل قوة ، ولكن السيارة الصاروخية لم تتحرَّك قيد أنملة ، بل ارتجَّت ولاذت محرِّكاتها بالصمت التام .. وسأل (محمود) فى مزيج من العصبية والخوف :

ـــ ماذا حدث أيها القائد ؟

لم يجبه (نور) ، وإنما شردت نظراته مرة أخرى ، على حين أطلقت (سلوى) صرخة فزع ، حينما ارتفعت السيارة الصاروخية فى الهواء ، وكأن الجاذبية قد انعدمت تمامًا فى

المنطقة ، وبدأت تتحرَّك فى هدوء نحو الفجوة المضيئة ، وأمسكت (سلوى) بذراع (نور) صارخة :

ـــ افعل شيئًا يا (نور) .. لا تتركهم يأسروننا هكذا ..

وبدلًا من أن يجيبها (نور) ، أخذ يتمتم فى شرود :

ـــ النهر المقدَّس .. النهر المقدَّس .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، حتى أنهم لم يلحظوا أن السيارة قد غابت فى الفجوة ، وأن الجبل عاد يغلق جانبيه خلفهما ...

ومن فوق الجبل الجنوبى ، غمغم العجوز (حارس) فى أسًى :

ـــ لقد عاد الجبل إلى سكونه .. لقد فقدناهم إلى الأبد .

* * *

٩ ـ منذ آلاف السنين ..

استقرّت السيارة الصاروخية فى هدوء ، فوق أسطوانة كبيرة من معدن لامع برّاق يشبه الفضة ، ولكنه أكثر صفاءً وبريقًا ، وشعر أفراد الفريق بضوء فيروزى يغمرهم ، ورأوا أشباحًا تتحرّك خارج دائرة الضوء .. وتولّاهم شعور عجيب بالخوف والقلق والحيْرة ، استمر طويلاً حتى خبا الضوء الفيروزى ، واتضحت تلك الأشباح على هيئة أجسام بشرية ، وإن لم يكن لذلك تأثير سوى المزيد من الدهشة والفزع ..

كان الرجال الذين يحيطون بالسيارة يرتدون ملابس لامعة من مادة تشبه البلاستيك ، تحيط بأجسامهم فى نعومة ، كما يبدو واضحًا من حركتهم ، وعلى رأس كل منهم قلنسوة ، تشبه غطاء الرأس الفرعونى القديم ، وإن زيّن منتصفها مصباح أحمر اللون رقيق الجوانب ، وكانت بشرتهم

سمراء ، وعيونهم سوداء داكنة ، وكانوا ثلاثة رجال على وجه التحديد ، التفوا حول السيارة فى هدوء ، وكأنهم يفحصون راكبيها ، كما يفحص العالم فأر التجارب قبل أن يشق رأسه بمبضعه .

حاول (نور) الاحتفاظ بهدوئه وهو يهبط من السيارة ، وانتظر حتى هبط رفاقه ، ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وقال فى لهجة حاول أن يجعلها متّزنة واثقة :

ـ الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية .

ظلّ الرجال الثلاثة يتطلّعون إلى (نور) فى صمت وهدوء فترة طويلة ، دون أن ينطق أحدهم بكلمة ، مما أتاح لـ(نور) فرصة فحص المكان من حوله ..

كان من الواضح أنه يقف وسط ما يشبه المدينة ، حيث تتناثر عدّة مبانٍ متوسطة الحجم ، فى أنحاء شتى من الفراغ ، الذى يتوسط الجبل ، والذى قدّر (نور) ارتفاعه بخمسين مترًا على الأقل ، واتساعه بمائتى متر .. وكان

المكان مملوءًا بآلات عجيبة ، لا يعرف (نور) منها شيئًا ، وإن كان من الواضح أنها متقدّمة عن عصره بعشرات السنين على الأقل ..

لم تكن الدهشة من نصيب (نور) وحده ، فقد أخذ رفاقه يتطلّعون حولهم فى ذهول ، وشعرت (سلوى) برجفة تسرى فى أوصالها ، حينما وقع بصرها على الطائرة (صقر ٦٠٠) فى ركن منزو من المكان ، وتساءلت عن مصير قائدها الشاب ..

أما (محمود) فقد أثار ذلك المعدن المضىء انتباهه ، بحكم دراسته وخبرته العلمية ، فحاول أن يراجع فى عقله كل ما يعرفه من أنواع المعادن المختلفة ، والسبائك المعروفة ، قديمًا وحديثًا ، ولكنه عجز عن العثور على معدن واحد يماثل هذا البريق الأخاذ ، على حين اهتم (رمزى) بمراقبة ملامح الرجال الثلاثة ، محاولًا استشفاف ما يدور فى عقولهم ، وهم يتطلّعون إلى (نور) فى اهتمام ، حتى التفت أحدهم وهو يبدو بشاربه الأشيب أكبرهم

سنًّا ، نحو الآخر الذى يبدو فى العشرينات تقريبًا ، وتحدّث إليه بضع كلمات بلغة عجيبة ، لا تشبه أيًّا من اللغات التى يعرفها الجميع .. فهمس (رمزى) فى أذن (نور) :

ـــ ما أعجبها من لغة !! يبدو أنهم من خارج عالمنا بالفعل ، أيها القائد .

وفجأة .. استدار صاحب الشارب الأشيب نحو (رمزى) ، وقال فى هدوء وبلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة :

ـــ خطأ أيها الشاب .. إننا ننتمى إلى هذه الأرض ، من قبل أن تولد أنت أو أجدادك .. إننا أول من استوطن هذه الأرض .

اتسعت عيون أفراد الفريق دهشة ، وصاح (نور) :

ـــ إذن فأنتم حقًّا ....

قاطعه الشاب ، قائلًا فى هدوء :

ـــ نعم أيها الرائد (نور) .. إننا كما قلت أنت تمامًا من قبل .. نحن قدماء المصريين .. نحن الفراعنة .

* * *

مرّت فترة طويلة من الصمت بعد هذا التصريح المذهل ، إلى أن غمغم (محمود) :

— ولكن هذا مستحيل !! لقد انتهى الفراعنة ، منذ هزم الرومان جيش (كليوباترا) ، واستولى (قيصر) على حكم مصر .



تبادل الأشيب نظرات غامضة مع الشاب ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال فى هدوء :

— لقد سمعنا كل كلمة قلتها لزملائك أيها الرائد .. سمعنا ذلك التفسير الذى تفوّهت به ، ونحن نحسدك على عبقريتك النادرة .. إنك تذكّرنا بالحكيم (أمحتب) ، لقد كان أيضًا ذا عقلية جبارة ، وخيال مذهل .. هل تعلم أنك

أصبت تقريبًا كبد الحقيقة باستنتاجك هذا ؟ وأنك أول مخلوق يمكنه ذلك منذ آلاف السنين ؟

ضاقت حدقتا (نور) ، وهو يقول :

— كنت أعلم أننى على حقّ .

قال الشاب :

— لقد أخبرناك بقصتنا من خلال توارد الخواطر ، بعد أن ضبطنا موجات جهاز البثّ العقلى لدينا على موجات عقلك ، و ....

قاطعه (رمزى) ، صائحًا فى دهشة :

— ولكن هذا مستحيل .. إن العقل البشرى ليس جهاز راديو ، يمكنكم بثّ الموجات إليه عن طريق جهاز آخر .. ثم كيف توصّلتم إلى موجات عقله دون اختبارات ؟

ابتسم الشاب ، وتبادل نظرات غامضة مع الأشيب ، على حين قال (نور) :

— لقد أرسلوا تلك الفقّاعات العجيبة ، لتركيز انتباهى يا (رمزى) ، وفى أثناء ذلك بدءوا فى التقاط

موجاتى الفكرية ، حتى حدَّدوها تمامًا ، وبعدها أتت مرحلة البث .

قال الأشيب فى إعجاب :

ـ مرة ثانية تدل على عبقريتك العلمية أيها الرائد .

وقال الشاب :

ـ لمْ أكن أتصوَّر وجود شاب مثلك ، وسط هذا العالم المتخلِّف .

التفت (نور) إلى الرجل الثالث ، وسأله فى حنق :

ـ ألّا تودّ أن تضيف شيئًا جديدًا أنت أيضًا ؟

ابتسم الأشيب ، وقال فى هدوء :

ـ لن يجيبك أيها الرائد (نور) ، فهذا ليس رجلًا عاديًّا .. إنه جهاز كمبيوتر حديث ، سيتوصَّل إليه قومك بعد مائة عام تقريبًا .

تطلَّع الجميع إلى الرجل الثالث فى دهشة ، ولاحظ (نور) لأول مرة عينيه الجامدتين ، فعاد يلتفت إلى الأشيب قائلًا :

ـ لن ننتظر كل هذه الأعوام أيها المغرور .. لقد قاتلنا يومًا رجلًا مثل هذا(*) ..

ابتسم الأشيب ، وهزَّ رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ـ مستحيل أيها الرائد .. إن ما يبدو أمامك فى هيئة رجل هو كمبيوتر مفكِّر ناطق ، له القدرة على اتخاذ ما يراه ضروريًّا من خطوات وإلغاء أخرى .. إنه أقرب الأجهزة الصناعية للإنسان الكامل ، وأنتم لم تتوصَّلوا بعد إلى ذلك .. ربما فى القرن الثلاثين ، ولكن ليس قبل ذلك .

تطلَّع (نور) إلى الكمبيوتر البشرى ، ثم هزَّ كتفيه ، وقال :

ـ ربَّما !!

ابتسم الأشيب ، وقال وهو يشير إلى أفراد الفريق :

ـ والآن أيها الرائد .. هل تقصّ الأمر كما أخبرناك به

(*) راجع قصة (القبلة الغامضة) .. المغامرة رقم (٥) .

عقليًا ، أم تترك لى هذه المهمة ؟.. لابُدَّ لرفاقك من معرفة كل شىء .

قال (نور) ، وهو يحرِّك كفَّه فى إشارة ذات معنى :

ـــ تولَّ أنت هذا الأمر ، فليست بى رغبة إلى ذلك .

أومأ الأشيب برأسه موافقًا ، وواجه أفراد الفريق قائلًا :

ـــ قصتنا أيها السادة تعود إلى عام سبعة آلاف وستمائة وتسعة وعشرين كما يقول تاريخنا ، أو عام سبعة وأربعين قبل الميلاد كما يقول تاريخكم .. المهم أنه يعود إلى فترة احتلال الرُّومان لمصر .. لقد شعر الكهنة المصريون بخطورة ذلك الاحتلال على تراثهم العلمى والحضارى ، الذى دام آلاف السنين ، وقرَّر بعضهم ـــ وهم أجدادنا الأوائل ـــ الهرب والاختباء فى مكان بعيد ، يمكِّنهم من المحافظة على أسرارهم العلمية ، التى كانت تفوق معارف الرُّومان بآلاف المرات ، ووقع الاختيار على هذا الوادى المنعزل ، حيث تجمع الكهنة ـــ الذين هم أيضًا علماء مصر ـــ مع أسرهم وأسرارهم

العلمية المتفوِّقة ، وبدءُوا فى إنشاء مدينة (ها ـــ عوم) ، التى تقفون وسطها الآن ..

صمت الأشيب لحظة ، وكأنه يسمح لهم باستيعاب ما قاله ، ثم عاد يستطرد :

ـــ لم يكد يمضى عام واحد ، حتى كان أجدادنا قد أنشئوا هذه المدينة فى باطن الجبل .. لم تكن كما هى الآن بالطبع ، ولكنها كانت تعدّ بالنسبة لعصرهم معجزة فى فن البناء ، ثم بدءُوا فى تطوير علومهم التى تفوق عصرهم بكثير ، وكان أول ما دار بذهنهم ، هو توفير مصدر دائم للمياه ، بدلًا من الآبار المعرَّضة للجفاف ، ومن هذه النقطة انطلق تفوُّقنا ، الذى استمر طوال هذه السنين .. لقد صنع أجدادنا نهرًا خاصًّا مقدَّسًا ، يجرى فى (ها ـــ عوم) .. صنعوا أعظم منجزات العلم حتى وقت قريب ..

غمغم (محمود) فى دهشة :

ـــ نهر مقدَّس ؟!!.. ولكنكم فى موقعكم هذا تبعدون

عن نهر النيل بعشرات الكيلومترات ، وهو المصدر الدائم الوحيد للحياة و ....

قاطعه الأشيب ، قائلاً :

ـ هذا يؤكد مرة أخرى عبقرية أجدادنا ، حينما اختاروا هذا الموقع بالذات لبناء (ها ـ عوم) أيها الشاب .. إن نهر النيل ينحنى عند (طيبة) ، التى تسمونها الآن (بالأقصر) ، ويميل ليصنع قوسا كبيرًا عبر (بقنا) ، وينتهى عند (نجع حمادى) .. ولقد أفاد أحد المهندسين العباقرة من عهدنا بهذا الانحناء ، فصنع حمام (كليوباترا) فى (دندرة) ، حيث يتجدَّد الماء باستمرار ، مستغلاً انحدار ماء النيل من الجنوب إلى الشمال .. كل ما فعله أجدادنا ، هو أن أوصلوا طرفى القوس .. شقُّوا مجرى تحت الأرض يصل ما بين (نجع حمادى) و (الأقصر) ، بحيث يندفع جزء كبير من ماء النيل فى نهرنا المقدس ، من (الأقصر) إلى (نجع حمادى) ، فيصبح لدينا نهر خاصٌ فى (ها ـ عوم) .. ولولا ذلك ما استمر

بقاؤنا طوال آلاف السنين وعشرات القرون ، ولما استمر تقدُّمنا حتى فقناكم علمًا وحضارة .

ورفع ذراعه فى عظمة ، وصاح :

ـ تقولون إن مصر هبة النيل ، أما نحن فنقول إن (ها ـ عوم) هبة النهر المقدَّس .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

ـ يا للسخافة !!

استدار إليه الأشيب الشاب فى دهشة ، وقال الأول :

ـ ماذا تقول أيها الرائد ؟

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وقال فى جُرأة :

ـ أقول إن كل هذا مجرَّد سخافة .. ماذا أفدتم باختبائكم طوال آلاف السنين ؟.. ماذا قدمتم بتطوُّركم العلمى ، ما دام قاصرًا عليكم فقط ؟

قال الأشيب ، فى لهجة عصبية :

ـ لقد حاولنا العودة للاندماج بالمجتمع بعد ذلك ، ولكننا وجدنا أنه قد ازداد تخلُّفًا ، واتسعت الهُوَّة بيننا

وبينه ، وكنا قد استقررنا ، وتقدمنا كثيرًا .. لقد كنا نجرى أول تجاربنا على الطيران ، حينما كان العالم الخارجى قد توصل إلى اختراع مدفع القتال العادى فقط ، واخترعنا الوقود الذرى مع اختراعكم أول سيارة .. هل رأيت كم تبلغ الهوة بيننا ؟

وفى حركة مباغتة ، أخرج (نور) مسدسه الليزرى ، وصوبه إلى الشاب والأشيب ، وهو يقول فى حزم :

ــ بمجرد خروجنا من هنا ، ستنتهى هذه الهوة يا أصحاب النهر المقدس .

وفجأة صرخت (سلوى) :

ــ احترس يا (نور) .. إنه الكمبيوتر البشرى .

وقبل أن يفهم (نور) ما تعنيه زوجته بندائها ، شعر بقبضة كالفولاذ تهوى على معصمه ، فيطير مسدسه الليزرى ، وسمع صوت الأشيب يصيح :

ــ اقتله يا (س ٩٠) .. اقتله .

* * *

١٠ ــ الرجل والآلة ..

استدار (نور) فى سرعة ، مواجهًا الرجل الآلى المعروف باسم (س ٩٠) .. ولكنه شعر بكلابتين من فولاذ تقبضان على سترته ، ورفعه (س ٩٠) عاليًا ، ثم قذف به فى قوة ، فسقط فوق الأرضية اللامعة ، ووجد نفسه ينزلق ، كما لو سقط فوق سطح مدهون بالصابون ، وأفاده انزلاقه ، إذ تفادى ــ دون قصد ــ شعاعين فتاكين ، انطلقا نحوه من عينى (س ٩٠) ..

قفز (نور) واقفًا وهو يلهث .. كان من الواضح أن (س ٩٠) ، قد تلقى الأمر بقتله ، وأنه لن يتوانى عن ذلك ..

ولم يجد (نور) أمامه من وسيلة للدفاع سوى الهجوم على (س ٩٠) ، الذى قفز نحوه فى مرونة قتالية عجيبة ، بالنسبة لكمبيوتر آلى مثله . ولكمه (نور) لكمة أودعها كل ما لديه من قوة ، ولكن (س ٩٠) ، تلقاها فى بساطة ،

على حين شعر (نور) بآلام مبرّحة فى عظام يده ، كما لو كان يوجّه لكمة إلى لوح من الصلب السميك ، وفى نفس الوقت رفعه (س ٩٠) ثانية ، وألقى به بعيدًا ..

لم يتوقّف أفراد الفريق ، ليشاهدوا قتال قائدهم مع الكمبيوتر البشرى ، بل اندفعوا نحو الرجلين الآخرين ، وكان أول ما فعله (رمزى) أن لكم الأشيب لكمة قوية ألقت به بعيدًا ، ليمنعه من توجيه أمر آخر إلى الكمبيوتر (س ٩٠) ، على حين ركلت (سلوى) الشاب فى قصبة ساقه ، وقفز (محمود) يكبّله بذراعيه ، ولكن الشاب تخلّص منه فى سهولة ، ولكمه لكمة قوية ، سالت لها الدماء من أنف (محمود) ، ثم جذب (سلوى) من شعرها وهمّ بصفعها ، عندما هوى (رمزى) بقبضته على مؤخرة عنق الشاب ، فسقط فاقد الوعى ، وأسرع (رمزى) يلتقط مسدس (نور) الليزرىّ من الأرض ، ويصوّبه إلى (نور) و (س ٩٠) المتصارعين ، وصرخت (سلوى) فى جزع :

ــ احذر يا (رمزى) .. احذر أن تصيب (نور) .. لن أغفر لك ذلك .

وفى نفس الوقت كان (نور) يحاور (س ٩٠) ، محاولًا الإفلات منه ، ولكن الكمبيوتر أثبت مدى التفوّق العلمى الذى يتمتع به سادة الجبل ، إذ زاغ فى مرونة ، ثم قبض على عنق (نور) بقبضتيه فى قوة ، ووجّه إلى عينيه اللّتين تطلقان الأشعة القاتلة .. وشعر (نور) بالأرض تدور من حوله ، وغامت عيناه مع ضغط (س ٩٠) الشديد على عنقه ، وشعر بوعيه يغيب تدريجيًا ، ثم أطبق عليه ظلام شديد .

* * *

صرخ الأشيب فى جزع :

ــ ماذا فعلت أيها التعس ؟.. لقد حطّمت (س ٩٠) .. إن إعادة بنائه يحتاج إلى عامين على الأقل .

نظر (رمزى) إلى المسدس الليزرىّ فى دهشة ، وقال :

ــ إننى أتساءل : كيف نجحت فى ذلك أيها العجوز .. لقد تصوّرت لحظة أننى لن أنجح فى قتل هذا الوحش الآلى .

أسرعت (سلوى) تفحص (نور) ، وقالت وهى تبكى فرحة :

— إنه بخير يا (رمزى) .. لقد فقد وعيه فقط .

انهار الأشيب فوق مقعد مصنوع من ذلك المعدن اللامع ، وغمغم فى يأس :

— لقد حطمتم كل شىء .. قضيتم على نهرنا المقدّس .. قضيتم علينا إلى الأبد .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، وسأله (رمزى) :

— ماذا يعنى هذا يا رجل ؟

رفع الأشيب إليهم عينين دامعتين ، وقال :

— ألم يلحظ أحدكم أنّ مدينتنا (ها — عوم) خالية إلّا منّى ، ومن ابن أخى (ناف) ؟

تلفّت الجميع حولهم ، وصاحت (سلوى) فى دهشة :

— يا إلهى !! هذا صحيح ، إنها تبدو كمدينة أموات .

أطرق الأشيب قائلًا ، وفى صوت يائس حزين :

— إنها كذلك .. لقد حطّمنا اختلال التوازن الطبيعى .. لقد قضينا على حضارتنا ، ونحن نحاول إنقاذ

النهر المقدّس .. لقد بدأ الأمر منذ عام ألف وتسعمائة بالضبط ، بحسب تاريخكم المكتوب ، حينما كشف علماؤنا أن نسبة المواليد الإناث كادت تنعدم تقريبًا ، حيث جاء النسل جميعه من الذكور ، وكان من المفروض أن نولى هذا الأمر اهتمامنا ، وخاصة أننا قد توصّلنا منذ زمن طويل إلى التحكُّم فى نوع المواليد ، ولكن واجهتنا حينئذ مشكلة أخرى احتاجت إلى كل جهودنا ، وهى أن النهر المقدّس بدأ يصاب بالجفاف ، لسبب غامض عجزنا عن تفسيره .. وبعد بحوث طويلة استغرقت عشرين عامًا ، توصّلنا إلى العثور على السبب .. كان هذا المعدن البراق العجيب .. كنا قد ابتكرناه عام ألف وثمانمائة وخمسة وتسعين ..

قاطعه (محمود) ، مغمغمًا فى دهشة :

— ابتكرتموه ؟! .. هل هذا المعدن صناعى ؟

أومأ الأشيب برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم يا بنىّ .. إنه سبيكة من الفضّة والنيكل والراديوم المضىء .

سأله (محمود) فى دهشة :

ـ أتقصد الراديوم المشعّ ؟

هزّ الأشيب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل المضىء يا فتى .. إن شعبك لن يتمكّن من التوصُّل إليه إلّا بعد أعوام طوال ، إنه أحد النظائر المشعّة غير المؤذية للراديوم .. إننا نصنعه بقذف إليكترون ....

قاطعه (رمزى) قائلًا :

ـ دَعْنا من هذه الفذلكة العلمية يا رجل ، وأتم قصتك .

عاد العجوز إلى إطراقته ، قائلًا :

ـ حسنًا يا بنىّ .. كنّا قد صنعنا لنهرنا المقدّس مجرى من (الكلوسيم) ، وهو هذا المعدن البرّاق ، ولم نكد ننتهى منه ، حتى أصابنا الانبهار ، فقد منح (الكلوسيم) للنهر المقدّس لونًا فضيًّا رائعًا ، بحيث بات يشبه نهرًا من النور ، ولم نفق من انبهارنا ، حتى كشفت الأبحاث أن سبب جفاف النهر المقدّس ، يعود إلى مجال كهرواستاتيكى

يحدثه (الكلوسيم) ، بحيث يمنع ماء النيل من الانسكاب فى نهرنا المقدّس ، وبدأنا نعمل جاهدين ، لكشف وسيلة لمنع تأثير (الكلوسيم) على النهر المقدّس ، ونسينا أن نسلنا يضمحل ، ولم ننتبه إلّا حينما فوجئنا بمصرع تسعين فى المائة من الأطفال دفعة واحدة ، إثر وباء نادر ينشأ بسبب العيش فى الأماكن المغلقة ، وكشف علماؤنا بعد فوات الأوان أن نساءنا قد أصبن بالعقم إثر الوباء ، وأطفالنا انقرضوا ، وقضى معظم رجالنا حتفهم .. هل رأيت فى حياتك شعبًا كاملًا تقضى عليه مأساة أبشع من ذلك ؟

هزّ أعضاء الفريق رءوسهم نفيًا ، والأسف يبدو واضحًا على وجوههم ، على حين استطرد الأشيب :

ـ وأفقنا فجأة على الحقيقة المؤلمة ، وهى أنه قد كُتب على شعبنا الفناء بعد آلاف السنين .. ولم نشأ الاستسلام لقدرنا .. قرّرنا الاستعانة بكل ما لدينا من الأجهزة العلمية ، والتى كنا نخبئها خارج الجبل لضيق المساحة ، على هيئة سبعة أحجار ضخمة منقوشة .

صاح (رمزى) و (محمود) و (سلوى) فى آن واحد :

ـــ الأحجار السبعة ؟!!

استمر الأشيب ، دون أن يبدو عليه الانفعال لدهشتهم :

ـــ وأحضرنا الأجهزة بالفعل ، ولكنها لم تنجح فى إنقاذ شعبنا ، الذى أخذ يفنى على مرّ الأعوام .

صاح (محمود) مقاطعًا :

ـــ ولكن الطبق الطائر الذى يقول عنه (حارس) .. من أين أتى ؟

رفع إليه الأشيب عينيه ، وقال فى هدوء :

ـــ إنه أحد أدواتنا لمراقبة العالم الخارجى ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية يا بنىّ .

صرخت (سلوى) فى ذهول :

ـــ يا إلهى !! أأنتم روّاد الأطباق الطائرة ؟!.. إنها ليست من العالم الخارجى إذن .. يا إلهى !! يا له من كشف مذهل !!

واصل الأشيب ، متجاهلًا ما يدور أمامه :

ـــ لم تكن أمامنا سوى وسيلة واحدة ، للإبطاء من حركة الفناء .. ألا وهى تجديد هواء مدينتنا ، وتعريضها لأشعة الشمس الدافئة بين حين وآخر .

زوى (رمزى) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـــ دعْنى أكمل أيها العجوز .. لقد رآكم قائد (صقر ٦٠٠) ، فى أثناء فتحكم باب المدينة ، أو بمعنى أصح رأى الجبل مشقوقًا نصفين ، فأصابته الدهشة ، وحينما حاول رؤية ما يحدث جذبتموه إلى هنا .

أومأ العجوز برأسه موافقًا ، فسأله (محمود) فى اهتمام :

ـــ وأين هو الطيّار الشاب ؟.. ماذا فعلتم به ؟

أطرق العجوز دون أن يجيب ، فقال (رمزى) :

ـــ دعْنى أخبرك أنا يا (محمود) .. لقد قتلوه .. تخلّصوا منه كما هو مصيرنا جميعًا .. إن من يدخل إلى (ها ـــ عو) لا يغادرها أبدًا يا رفاق ..

* * *

١١ ـ نهر النور ..

ساد وجوم شديد بعد تصريح (رمزى) ، وسألت (سلوى) العجوز فى تردُّد :

ـ هل هذا صحيح يا سيِّد ....؟

قال العجوز فى بطء :

ـ (من ـ رع) يا بنيَّتى .. اسمى (من ـ رع) .

عادت تسأله فى حِدَّة :

ـ هل ما يقوله (رمزى) صحيح :

أطرق (من ـ رع) دون أن يحير جوابًا ، وفجأة سمع الجميع صوت (نور) يقول :

ـ نعم يا عزيزتى .. ما يقوله (رمزى) صحيح .

التفت إليه الجميع ، فوجدوه قد استعاد وعيه ، ونشاطه ، ومسدسه الليزرى ، ويقف على مقربة منهم ، وعلى وجهه علامات العزم والتحدِّى ، ويستطرد :

ـ كان ينبغى أن نستنتج ذلك ، عندما بدأ هذا العجوز يقص علينا قصة حياتهم .. إن ما فعلوه حتى الآن يؤكد إصرارهم على البقاء فى الظلام ، فلم يخالفون مبدأهم هكذا فجأة ، ويعلنوننا بوجودهم عن طريق مخاطبتى عقليًا ، ثم قصِّ الأمر عليكم فى وضوح هكذا .. إن المنطق يؤكد أنهم يفعلون ذلك ، لثقتهم أننا لن نخرج من هنا أحياء .

نقل الجميع أبصارهم بين (نور) و (من ـ رع) فى حَيْرة ، فصاح (نور) غاضبًا :

ـ ألا تستطيعون الاقتناع بأن هذا العجوز البغيض ينوى إهلاكنا جميعًا ؟.. هل خدعتكم طيبته الظاهرية الزائفة ؟.. هل تصدِّقون قصته ؟.. هل يعقل أن يشعر شعب ، حافظ على حياته طوال آلاف الأعوام ، بالرغبة فى إنقاذ نهر سخيف ، متناسيًا أنه فى طريقه إلى الفناء ؟

نهض (من ـ رع) ، وقال فى هدوء عجيب :

ـ إنك لم تر بعد هذا النهر ، الذى تنعته بالسخف أيها الرائد .

وقبل أن يعترض (نور) ، تحرَّك (من ــ رع) فى خطوات واثقة نحو ركن بعيد ، وتبعه الجميع فى تلقائية ، وقد تملَّكهم الفضول لرؤية ذلك النهر المقدَّس ، الذى أباد شعبًا بأكمله ..

وهبط (من ــ رع) عدة درجات فى دهليز واسع ، ورأى الجميع نورًا قويًا يأتى من مصدر بعيد ، ويزداد قوة كلما تبعوا (من ــ رع) هبوطًا ، وخُيِّل إليهم أن دفقًا قويًا من الراحة والانتعاش ، قد تغلغل فى عروقهم ، وشعروا بنشوة ونشاط عجيبين ، حتى أنهم تابعوا هبوطهم فى حيوية عجيبة ، ثم توقفوا أخيرًا وقد تملَّكهم شعور بالانبهار والسِّحر والنشوة ، حتى أن أحدهم لم يستطع رفع عينيه عن النهر المقدَّس ، الذى تدفَّق أمامهم على عمق عشرة أمتار فى باطن الأرض ..

لم يكن نهرًا عاديًا ، بل دفقًا من النور السائل .. نهر من النور يسيل على الأرض ، حتى أن المكان كان يموج بالأضواء القوية ، والتألقات المدهشة ، برغم أنه لا يوجد مصباح واحد ..

شعر الجميع برابطة عميقة ، تنشأ فجأة بينهم وبين هذا النهر المقدَّس العجيب .. شعور عجيب ملأ أنفسهم ، حتى خُيِّل إليهم أن هذا النهر يبادلهم الشعور ، أو أن ماءه ينبض بالحياة .. بل لقد خُيِّل إليهم أنهم يسمعون صوت أنفاسه تتردَّد فى مجراه العميق ..

اندمجوا تمامًا مع جمال المشهد ، الذى تطالعه أعينهم ، حتى أن أحدًا منهم لم يشعر بتلك النظرات العجيبة ، التى أخذ يحدجهم بها (من ــ رع) ، وهو يغمغم فى خفوت :

ــ لنرَ الآن كيف تتعاملون مع النهر المقدَّس أيها السادة .. ها قد أسركم نوره ، ولم تعد هناك سوى خطوة واحدة ..

وفجأة انتفض جسد (نور) فى قوة ، ونظر حوله فى دهشة ، ثم صاح وهو يهزّ زوجته فى قوَّة :

ــ اللَّعنة !! استيقظوا يا رفاق ، إن هذا النهر اللَّعين يسيطر على إرادتنا .. استيقظوا قبل أن يلتهمنا جميعًا .

* * *

انتفض أعضاء الفريق فجأة ، وبدا وكأنهم أفاقوا بدورهم من غيبوبة غامضة ، وتبادلوا نظرات الدهشة ، على حين صرخ (من — رع) فى غضب :

— كفّ عن أسلوبك هذا أيها الرائد .. كفّ وإلّا انتقم منك النهر المقدّس .

صاح (رمزى) فى دهشة :

— ما معنى هذا ؟.. إنه مجرد نهر عادىّ .

صاح به (نور) :

— يا إلهى !! ألمْ تفهم بعد يا (رمزى) ؟.. إن هذا النهر المقدّس ما هو إلّا وحش مفترس .. وحش شره لالتهام لحوم البشر .

حدّق الجميع فى النهر بذهول ، وتحوّلت نظرات النّشوة فى أعينهم إلى رعب وذهول ، على حين واصل (نور) صائحًا :

— هل لك أن تخبرنى أين ذهب أهل هذه المدينة العجيبة ؟.. أين ذهبت جثثهم على الأقل ؟.. إنها جميعًا فى

هذا الوحش السائل المتدفّق .. لقد التهمهم جميعًا ، حتى أنه لم يعد ما يكفى لغذائه ، فاضطر هذا العجوز الحقير وابن أخيه ، إلى اختطاف سكان (أبو دياب) المساكين ، لتغذية الوحش المقدّس هذا .

صاح (محمود) فى ذهول :

— ماذا تقول أيها القائد ؟

قال (نور) فى جدّة :

— صدّقنى يا (محمود) .. لقد عرفت جزءًا مما أقول : فى أثناء ذلك الحوار العقلى الذى خاطبنى به هؤلاء الأوغاد ، عن طريق (التليباثى) ، والجزء الآخر استنتجته مما حدث ويحدث ..

قال (رمزى) فى دهشة :

— ولكنه مجرّد سائل .

قال (نور) :

— إن الله (سبحانه وتعالى) ، قادر على منح الحياة لأى كائن ، مهما كانت صورته يا (رمزى) .. لقد رأينا

الحياة فى الحيوانات والطيور والنباتات ، ورأيناها فى أشباه الجماد مثل الشُعَب المرجانية ، فلِمَ نعجب حينما نراها فى صورة سائلة ؟.

غمغم (رمزى) :

ـــ ولكن لا توجد سوابق لهذا .

صاح (نور) :

ـــ هل نسيت ما يقوله الله (سبحانه وتعالى) :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلَّا قليلًا ﴾ .

(صدق الله العظيم) .

ثم استدار يقبض على يد زوجته ، ويقول :

ـــ هيَّا بنا يا رفاق ، قبل أن يقدِّمنا هذا العجوز الوغد قُربانًا لنهره المقدَّس .

وفجأة .. أطلق العجوز ضحكة ساخرة عالية ، وسمع الجميع صوت (ناف) يقول :

ـــ لا فائدة أيها السادة .. إن من يهبط إلى مهد النهر المقدَّس ، لا يصعد حيًّا أبدًا .

استدار إليه الجميع فى حِدَّة ، ثم تسمَّروا فى أماكنهم ، فقد كان يصوِّب إليهم أنبوبًا زجاجيًّا صغيرًا ، فهم كل منهم فى لحظة واحدة ، أنه يحمل الموت فى داخله .

* * *



١٢ ـ الضَّحـايا ..

قال (نور) فى تحدٍّ ، وهو يواجـه (ناف) بجرأة مذهلة ، مدافعًا عن رفاقه بجسده :

ـ لن يمكنك إجبارى على الغطس فى نهرك اللّعين هذا ، أيها الوغد .

ارتسمت ابتسامة ساخرة متحدِّية على شفتى (ناف) ، وهو يقول :

ـ هل تراهن أيها الرائد ؟

وفجأة .. تحرَّكت يد (نور) فى سرعة ، وانطلقت من فوهة مسدسه اللّيزرىّ دفقة من الأشعة ، أذابت الأنبوب الزجاجى القاتل ، الذى يمسك به (ناف) ، فحدَّق فيه هذا الأخير فى ذهول ، ثم صرخ صرخة وحشية ، وقفز نحو (نور) فى شراسة عجيبة ، واشتبك معه فى صراع جنونى عجيب ، ولكن (نور) عاجله بلكمة قوية دفعته بعيدًا حتى حافة مجرى النهر المقدَّس ..

وحينما حاول (ناف) معاودة الهجوم ، رأى الجميع أعجب مشهد يمكن أن تقع عليه أعينهم .. رأوا جزءًا من نهر النور يندفع نحو (ناف) ، ويقبض على ساقه فى قسوة ، ثم يجذبه إلى مجرى النهر المقدَّس ..

صرخ المسكين فى رعب وفزع ، ولوَّح بذراعيه فى الهواء ، وهو ينظر إلى (نور) بعينين جاحظتين ضارعتين ، لم يستطع (نور) مقاومة النداء المتوسِّل فيهما ، فقفز يلتقط ذراع (ناف) الممدودة ، ولكن النهر المقدَّس جذب الفتى إليه فى قوة مباغتة ، وتلاشت صرخة الرُّعب التى انطلقت من فم (ناف) ، حينما غاص جسده فى النهر المقدَّس ..

وفجأة .. تحوَّل دفق النور إلى لهب شيطانى ، تحوَّل لون النهر المقدَّس إلى لون أحمر ، يتماوج بأضواء برتقالية وصفراء تشبه النيران المندلعة ، وتعلَّقت (سلوى) بعنق (نور) فى رعب ، على حين حدَّق هو ورفيقاه الآخران فى ماء النهر المقدَّس ، وقد تملَّكهم الذُّهول ، وهم يتابعون ما أصاب

جسد (ناف) ، إذ انسلخ جلده وذاب فى ماء النهر المقدّس ، ثم تبعه لحمه ودماؤه ، ولم يبق منه سوى هيكل عظمى لم يلبث أن تلاشى بدوره ، وعاد النهر المقدّس يضىء بأشد مما كان ، وكأنما منحه التهام جسد (ناف) حيوية ونشاطًا جديدين ، فعاد إلى تدفّقه العجيب ، وملأ نوره المكان ..

صرخ (من — رع) فى جزع ، ودفن وجهه بين كفّيه ، وهو يصرخ فى لوعة وأسى :

— يا للدّمار !! لقد انتهى أمل (ها — عوم) .. انتهى أملنا .. لقد مات الأمل الوحيد .

صاح به (نور) فى قسوة :

— قتله نهركم المقدّس .. قتله ذلك الوحش ، الذى أوليتموه رعايتكم طوال آلاف السنين .

صرخ العجوز فى انهيار :

— لم يعد هناك ما يهم .. لقد انتهى كل شىء .

اتسعت عينا (محمود) ذعرًا ، وقفز يمسك (من — رع) من ملابسه اللامعة فى قوة ، صائحًا :

— إنها ليست المرة الأولى التى نطقت فيها بهذه العبارة أيها العجوز .. لقد سبق أن قلت ذلك ، حينما حطّم (رمزى) رجلكم الكمبيوتر (س ٩٠) .

دفع (من — رع) (محمود) فى قسوة ، وصاح :

— أيها الأغبياء .. إن تحطيم (س ٩٠) ، يعنى تحطّم جهازنا الدّفاعى .. إننا لن نقع أبدًا فى أيدى الأعداء .. لقد صممناه بحيث يبدأ فى تشغيل قنبلة زمنية رهيبة ، حينما تتعطل أجهزته لأى سبب خارجى .. إن (ها — عوم) لن تقع فى أيدى أحد قط .. سينفجر كل شىء قبل ساعة واحدة .

صاح (نور) فى حنق :

— أيها الوغد .. إنك تريد إفناء الجميع فى سبيل نهرك المقدّس هذا .. ولكنك لن تنجح .. لن تنجح أبدًا .

ثم التفت إلى رفاقه ، صائحًا :

— هيّا بنا يا رفاق .. أسرعوا .. فلابُدّ لنا من مغادرة مدينة المجانين هذه قبل أن تنفجر .

ولكن (من ــ رع) استدار مواجهًا النهر المقدس ، وصاح :

ــ لا تتركهم يهربون أيها النهر المقدّس .. لا تدع قرابينك تفرّ .

وفجأة .. توقّف النهر عن الجريان ، وأخذ يرتفع كما لو كان يفيض .. ارتفع فى سرعة مذهلة ، حتى أن (نور) صاح فى رفاقه :

ــ أسرعوا يا رفاق .. إن هذا الوحش المقدّس لا ينوى أن يسمح لنا بالفرار .

أما (من ــ رع) فلم يستطع الهرب ، نظرًا لسنه الكبيرة ، فأخذ يصرخ فى رعب :

ــ لا .. ليس أنا أيها النهر المقدّس .. ليس راهبك الأمين .

ولم تلبث توسّلاته أن تحوّلت إلى صرخات ألم ورعب ، حينما أطبق عليه النهر المقدّس دون رحمة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها الجميع إلى نهاية الردهة ، وصاح (محمود) :

ــ يا إلهى !! كيف نخرج من هنا ؟.. كيف نفتح ذلك الجبل اللّعين ؟

قال (نور) ، وهو يحاول الاحتفاظ بهدوئه :

ــ دعْنا نفحص تلك الأجهزة المتقدّمة يا (محمود) .. لا ريب أن عقليتكم العلمية ، ستقدر على استيعاب بعضها بسرعة .

أسرع (محمود) و (سلوى) يحاولان فهم طريقة عمل الأجهزة فى عصبية ، حتى صاح (رمزى) :

ــ يا إلهى !! هذا النهر اللّعين تجاوز الدهليز .. إنه يفيض فى المدينة .

صاح (نور) :

ــ سيستلزم وصوله إلينا بعض الوقت .. حاولوا يا رفاق .. لا تدعوا الرُّعب يسيطر عليكم .

ولكنه لم يستطع منع ذلك الخوف الذى سيطر على قلبه ، فقد كان النهر المقدّس يملأ المدينة (ها ــ عوم) ، فى سرعة تفوق توقُّعات (نور) ، ولكن خوفه لم يلبث أن تلاشى ، حينما سمع (محمود) يهتف :

— ها هو ذا .. ها هو ذا مفتاح المدينة .

ولم يكد (محمود) ينتهى من إدارة قرص معدنى صغير ، حتى سمع الجميع صوت اندفاع الهواء فى أنبوب ضيق ، وتحرّك جانبا الجبل ، وظهرت من خلفهما السماء المظلمة بنجومها اللامعة ، ولكن (رمزى) صرخ فى جزع :

— يا إلهى !! إننا نقف فى مستوى منخفض للغاية ، والجدران زلقة جدًّا .. من المستحيل الصعود إلى الفجوة .. إن النهر المقدّس يصرُّ على التهامنا ، ونحن نرى سماء الأرض .

* * *

شعر الجميع بالعجز واليأس ، وهم يتطلّعون إلى النهر المقدّس ، الذى فاض وكاد يصل إليهم ، ويلتهمهم ليضمهم إلى قائمة ضحاياه ، وفجأة هتف (نور) :

— يا إلهى !! (صقر ٦٠٠) .. إنها وسيلتنا الوحيدة للنجاة .

ثم جذب زوجته ، وأسرع نحو الطائرة الساكنة ، وتبعه الجميع فى صمت ، إلى أن وصلوا إليها ، فقال (نور) :

— نأمل أن تعمل محرّكاتها بصورة جيّدة .

صاح (محمود) ، وهو يعاون (سلوى) على الصُّعود إلى الطائرة :

— ولكن طراز (صقر ٦٠٠) ، مجهّز لحمل رجل واحد أيها القائد .

دفعه (نور) إلى الصُّعود ، وقفز خلفه قائلاً :

— إن (صقر ٦٠٠) لن تخذلنا ، أمام هذا النهر المقدّس السخيف يا (محمود) .

ولم يكد (رمزى) يندسّ فى الطائرة الصغيرة ، حتى أدار (نور) محرّكاتها ، وهو يقول :

— هيّا يا صغيرتى .. أعلم أننا نحمّلك فوق طاقتك ، ولكننا نحتاج إليك .

وكأنما أطاعته (صقر ٦٠٠) ، فقد دارت محرّكاتها ، وارتفعت عن الأرض ، فى نفس اللحظة التى تكوّنت فيها موجة عجيبة من النهر المقدّس ، حاولت الإمساك بها ، ثم انطلقت إلى الأمام كالبرق ، مجتازة الفجوة التى تضم مدينة

(ها ـ عوم) ، على حين أخذ النهر المقدَّس يتخبَّط فى جوانب المدينة ، كما لو كان ثائرًا محنقًا ، وانبثق منه شلّال من نور أحمر مرعب ، أضاء السماء ، وأعقبه دوىٌّ كالرَّعد ، ثم انفجار عجيب ، أطاح بالجبل الشرق ، وصبغ السماء بلون بنفسجى عجيب ، لم يلبث أن تلاشى فى هدوء ، واختفت من الخارطة تمامًا منطقة الجبل .

وصاحت (سلوى) فى فرحة عارمة ، والطائرة (صقر ٦٠٠) تواصل ابتعادها :

ـ لقد نجونا !! لقد نجونا يا رفاق !! هزمنا النهر المقدَّس .. هزمنا ذلك الموت السائل .

* * *



١٣ ـ الختام ..

لقد لقى (حارس) العجوز مصرعه فى الانفجار ، ولكننا لم نعثر على أثر لجثته فقط .. كل ما عثرنا عليه هو جلبابه ممزَّقًا تالفًا .

قال العمدة (أبو الوفا) هذه العبارة فيما يشبه الاعتذار ، وهو يقدِّم أكواب الشاى لأفراد الفريق ، فقال (نور) فى خبث :

ـ عجبًا .. كنت أظن أن أحدًا لم يلقَ مصرعه بسبب هذا الانفجار العجيب .

قال (محمود) ، دون أن يفهم مقصد (نور) من عبارته :

ـ هذا صحيح أيها القائد .. لا ريب أن هؤلاء الفراعنة ، قد استخدموا نوعًا متطوِّرًا للغاية ، من القنابل المحدودة ، فبرغم أن الجبل كان مفتوحًا ، إلَّا أن الانفجار اكتفى بتحطيمه فقط ، دون أن يمسّ ما يحيط به .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـــ المهم أنه لم يعد هناك دليل واحد على ما رأيناه يا (محمود) ، هذا هو فقط ما يهم (ها ـــ عوم) .

غمغمت (سلوى) فى ضجر :

ـــ (ها ـــ عوم) .. نهر مقدَّس .. (ناف) .. (من ـــ رع) .. (كلوسيم) .. أسماء معقَّدة عجيبة وكثيرة .. يخيَّل إلىَّ يا رفاق أن كل ما حدث مجرَّد حلم .. كابوس عجيب ، ليست له أية دلالات واقعية .

ابتسم (نور) ، واكتفى برشفة من الشاى ، دون أن يعلّق على قول زوجته ، على حين قال (محمود) :

ـــ هل عثر علماؤنا على النهر المقدَّس أيها القائد ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ مطلقًا يا (محمود) .. وهذا ما يثير دهشة الجميع ، ولكن المؤكد أنه لم يكن فرعًا من نيل مصر العظيم .

سأله (رمزى) :

ـــ هل تعتقد أن كهنة الفراعنة ، قد ادعوا ذلك أمام ذويهم ؟

هزَّ كتفيه ، وقال :

ـــ ولِمَ لا ؟. لقد اعتادوا دائمًا إخفاء الحقائق عن العامة .

مطَّت (سلوى) شفتيها ، وقالت :

ـــ نهر مقدَّس يلتهم البشر .. يا له من كابوس بشع !! إن ذلك سيجعلنى لا أغسل يدى ووجهى بالماء ، ما بقى لى من العمر .

ضحك (نور) ، وقال مداعبًا :

ـــ يا له من رعب عجيب !! وهل ستكفّين أيضًا عن استخدام الماء فى الطهى ؟

هزَّت كتفيها ، وردَّت مداعبة قائلة :

ـــ من يدرى ؟.. فما دمت أرافق الرائد (نور) فى ألغازه العلمية الغامضة .. فلن أعجب إذا ما كففت يومًا عن التنفس ، بعد أن أرى هواءً متوحِّشًا .. كلَّا يا عزيزى .
إن شيئًا ما لم يعد يدهشنى ، منذ عملت معك .

وافقها (محمود) بإيماءة من رأسه ، على حين ابتسم (رمزى) ، وقال :

ـ هذا صحيح يا (سلوى) .. لقد حوَّل الرائد (نور) فريقنا إلى فريق من مستكشفى العجائب .. عجائب العلم فى (مصر) القرن الحادى والعشرين .

* * *

[تمت بحمد الله]

● العدد القادم ●

الإيقاع المفترس

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ١٠ بالمنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - تليفون : ٨٤٦٢٤٨٠

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٢٨

• النهر المقدس •

- كيف يمكن أن تختفي طائرة فوق جبال (قنا)، دون أن تترك أثرًا ؟
- ما سر هذه المنطقة المحرّمة ، التي يخشى الجميع الاقتراب منها ؟
- أينجح (نور) في كشف هذا الغموض؟ أم يغوص في أعماق النهر المقدّس ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) في حلّ اللّغز.

الثمن في مصر
٦٠ قرشا

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الإيقاع المفترس